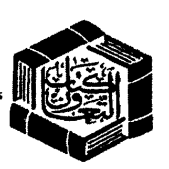
نجوم قراء القرآن الكريم

أحمـــد أبو كف



كتاب التعاون



كتاب التعاون

مدير عام الإعلانات: د. إبـــراهيم أبـــو الخـيـــر

مساعد رئيس التحرير: عبدالرحمن عبد الصمد

سكرتارية التحـــرير: هنــــاء عبدالمنعــــم

هالة المـــــصـــــرى

غـــــــــلاف: أحـمــــد عبدالنعيـم

مقـــدمـــة

شهر رمضان.. أعاده الله علينا باليمن والبركات، هو الشهر الذى أنزل فيه القرآن.. أو هو شهر القرآن والقيام..

وأيام رمضان أكرم الأيام

ولياليه أبرك الليالى.. بما فيها من أنوار وبهاء.

فى رمضان يجزل الله العطاء للمحسنين، يضاعف الأجر للعاملين، ثواب الحسنة فيه، ضعف ثوابها فى غيره.

ولقد ورد أن النبى ﷺ، خطب فى آخر شهر شعبان، فقال: «أيها الناس.. قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر.. جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا. من تقرب فيه بنافلة.. كان كمن أدى فريضة فيما سواه، هو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، من فطر فيه صائماً، كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شئ...

والحقيقة أن ما يميز هذا الشهر الكريم هى قراءة القرآن وتلاوته.. أو الاستماع اليه.. ففى هذا الشهر الكريم.. تحلو السهرات، وتموج المساجد والبيوت بالاحتفالات الدينية، التى يصبح نجومها القراء والمداحون والوعاظ..

ومصر ظلت طوال عصر الايمان فيها.. منارة العالم الاسلامى. لاتزال وستظل بإذن الله - تبعث بالكثير من قرائها ووعاظها الى عالم الإسلام ليحيوا لياليها. وللقراء - أو مشاهير القراء على وجه الخصوص ، ذكريات كثيرة ومتنوعة، بل مثيرة، انهم يلقون ما يلقون من حفاوة وترحيب من مسلمى العالم.. سنذكر منها الكثير حين يأتى ذكرها فيما هو قابل من سطور على مدى الأيام القادمة.

وقارئ القرآن الجيد كما يرى الشيخ محمود خليل الحصرى وكان شيخا للمقارئ المصرية، يتلخص فى الآتى: انه يجمع بين جمال وحلاوة الصوت وقواعد الترتيل الشرعية التى اتفق عليها علماء القراءات..

ولكل قارئ من القراء أسلوب خاص فى القراءة.. فما يميز هذا القارئ.. قد

لايميز قارئا آخر.. وهذا التنوع فى الأداء وفى الاسلوب، هو فى الحقيقة ثراء واسع تختص به مصر فى قراءة القرآن.

فما يميز الشيخ محمد رفعت.. نجد غيره فى الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى، والشيخ محمود خليل الحصرى له سمات غير تلك التى توجد عند الشيخ مصطفى اسماعيل أو الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، أو الشيخ محمود على البنا أو الشيخ محمد محمود الطبلاوى، والشيخ راغب غلوش، والشيخ عبدالعظيم زاهر، و الشيخ محمود عبدالحكم.

وكل جيل من القراء يختلف فى طريقته وفى بيئته عن الجيل الآخر.. فجيل الشيخ أحمد ندا.. غير الجيل الذى جاء بعده، غير الجيل الجديد من القراء.

وقراء الصعيد - بلاشك - غير قراء وجه بحرى.. ولكن القراء المصريين جميعا يختلفون ويتميزون عن القراء فى كل انحاء العالم الإسلامى.

ولاشك أن الأصوات الحديثة.. غير الأصوات القديمة، فالأصوات الحديثة وجدت من التسهيلات التى كان يفتقدها فى الماضى المقرئون القدامى، ففى الماضى لم تكن هناك مكبرات للصوت، ولم تكن هناك إذاعات.. وكان القارئ يعتمد على حلاوة صوته وقوة نبراته.. وحلو نغماته.. أكثر من أى شئ آخر..

كذلك فإن جمهور السامعين فى الماضى يختلف عنه الآن فقد كان «سميعة» الثلاثينيات مثلا غير «سميعة» الخمسينيات أو الستينيات أو السبعينيات أو الثمانينيات والتسعينيات وأيضا فإن القراءة فى عصر بداية تأسيس الإذاعة غير العصور التى تلى ذلك من حقب.. اتسعت وتنوعت فيها موجات الأثير، وزادت فيها قنوات التليفزيون.. وهكذا.

وفى الماضى أيضا.. كان القارئ «محلى».. إن صح هذا التعبير.. وكان هم كل قارئ أن يبدأ فى قريته ثم يصل بصوته الى العاصمة.. وهذا منتهى ماكان يرغب فيه.. أما الآن فالقارئ يركب السيارات والطائرات.. ويلف بلاد العالم من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب.

زمان كان القارئ يحفر طريقه بأظافره ومؤهلاته الصوتية ومواهبه.. وكان يبنى «صيته».. بعد الكثير من العنت والارهاق.. أما الآن فالطريق صار سهلا

ميسرا وليس صعبا مثل أيام زمان.

وزمان أيضا كانت الدنيا غير الدنيا، كانت الدنيا سخاء رخاء، وكانت القناعة كنز لا يفنى.. فلم يكن القارئ يشترط أو يساوم - مع التماس العذر - على إحياء ليلة.

وزمان.. كذلك كان لكل قارئ شهير شبه ندوة.. يجتمع فيها مع رواد ندوته، وكانوا من العارفين بالانغام والأصوات ومن الملحنين أو الدارسين لتفاسير القرآن، وعلم الموسيقى والقراءات، وهؤلاء الرواد كانوا دائما وراء محبيهم من القراء.. مثل نجوم الفن والأدب.

والغريب - وهذه ملاحظة جديرة بالنظر - أن أغلب الملحنين والمطربين فى مفتتح القرن العشرين فى مصر، كانوا فى الأصل مشايخ وقراء.. مثل الشيخ أبو العلا، والشيخ المسلوب، والشيخ يوسف المنيلاوى، والشيخ محمود صبح.. وغيرهم وغيرهم كثير.

وعلى ذكر الجماهير.. «السميعة».. فنحن نلمس الآن أنهم يختلفون عن زملائهم أيام زمان، والآن تعود كثير من الناس رفع اصواتهم بنحو «الله.. الله».. والفاظ أخرى يوجهونها الى قارئ القرآن.. تشجيعا له، كلما أعجبتهم قراءته.. بحيث ينقلب هذا الاستحسان الى نوع من التشويش والتهريج الكريه، وخصوصا فى بيوت الله.. التى يذاع منها القرآن الكريم على موجات الأثير.. هذا بالرغم من أن الحديث الثابت يقول: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراءكم ورفع أصواتكم».

ولقد ثبت نهيه صلى الله عليه وسلم عن تشويش البعض على البعض فى المسجد ولو بقراءة القرآن، فقد قال صلى الله عليه وسلم للقارئين فى المساجد: «ألا ان كلكم مناج لربه، فلا يرفع بعضكم على بعض بالقرآن».

وقال تعالى: «وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق»، وقال سبحانه وتعالى: «إنما المؤمنون الذى إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا» وقال جل جلاله: «وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون».. وقال سبحانه وتعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله».

صاحب الصوت الذهبى
الشيخ محمد رفعت

صورة هنا.. أقدمها، وليعذرنى المقرئون والقراء.. عن صاحب الصوت الذهبى الشيخ محمد رفعت، قرأتها فى كتاب «الشرق فى فجر اليقظة» لاستاذنا أنور الجندى، انه يتحدث فيها عن صاحب أروع صورة للاداء، وأروع خلق للعزوف هن اتخاذ قراءة القرآن وسيلة للكسب، والفخفخة والاشتراطات التى ينوء بحملها الكثير..

الشيخ محمد رفعت بحق، هو قيثارة السماء.. كما سماه معاصروه.. وهو اخشع صوت قرأ القرآن.. وأندر جوهرة شدت وشدت القلوب بألحان السماء.

والشيخ رفعت بدأ ارسال الاذاعة اللاسلكلى المصرية بصوته. مرتلا للقرآن لمصر، وللدنيا كلها عبر الاثير فى ٣١ مايو ١٩٣٤، وظل صوته فى تلك الفترة ينتظره الملايين لا فى مصر وحدها.. وانما ايضا من خلال الاقسام العربية فى اذاعات لندن، وباريس، وبرلين.

ولقد ولد الشيخ رفعت فى حى المغربلين وعاش فى حى السيدة زينب رضى الله عنها. والغريب انه ولد فى ٩ مايو ١٨٨٢ على اكثر ترجيح، ولاقى وجه ربه بعد مرض طويل فى ٩ مايو ١٩٥٠.

ووالد الشيخ رفعت كما يروون كان مأمورا للبوليس. والشيخ لم يولد ضريرا، وانما هو فقد بصره فى العام الثانى من حياته الحافلة، نتيجة لعلاج خاطىء، فحرم من نعمة الابصار مبكرا.. لكن الله عوضه عنها بنعمة البصيرة..

وقد درس الشيخ رفعت - رحمه الله رحمة واسعة - القرآن الكريم حفظا وتجويدا - فى الكتاب الملحق بمسجد فاضل باشا بدرب الجماميز.. ووفاء لذلك المسجد الذى تعلم فى رحابه، ظل يقرأ فيه السورة من كل يوم جمعة طوال احدى عشر عاما متواصلة.. الى ان حجبه المرض.

ويقولون ان الشيخ رفعت حين اختلف مع الاذاعة، للمرة الأولى، وتوقف عن القراءة فيها، تلقت الاذاعة آلاف البرقيات والخطابات التى تهدد بالامتناع عن دفع

«ضريبة الراديو».. مالم يعد الشيخ رفعت الى الميكروفون.

ولحلاوة صوته الربانى، وادائه وخشوعه.. فقد اعتنق الاسلام بسببه الكثيرون.. فهذا الصوت السماوى أو هذه القيثارة دفعت بالكثيرين لأن يدرسوا الاسلام والقرآن، وان يشهروا إسلامهم.

ومع انه كان قيثارة السماء فى قراءة القرآن بحق، ولم يأت مثيل لادائه وصوته.. فان للشيخ رفعت بعض الموشحات الدينية التى كان يؤديها غناء..

ويقارن الشيخ رفعت بابن مسعود الذى قرأ القرآن أمام الكعبة (تعرض لايذاءات المشركين) قال الرسول «صلى الله عليه وسلم» «لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود»، وقد فسر العلماء هذا المزمار بأنه الصوت الحسن ومعنى ذلك أن قراءة القرآن بلغتنا جائزة. وقد قرأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمع إلى القراءة بها من الكثيرين واستحسنها. ففى «زاد الميعاد» لابن القيم: ان عمر بن الخطاب كان يقول لأبى موسى الأشعرى ذكرنا ربنا فيقرأ أبو موسى ويتلاحن. وكان عتبة بن عامر احسن الناس صوتا بالقرآن. فقال له عمر بن الخطاب: اعرض على سورة كذا. فعرضها عليه. فبكى عمر وقالوا كذلك أن الامام أبا حنيفة واصحابه كانوا يسمعون القرآن بالتلحين.

بل ان هناك من يقول ان الترتيل لا يتنافى مع التلحين وأن الرسول عليه الصلاة والسلام قرأ به القرآن واستمع الى القراءة به من بعض أصحابه. وان قراءة التغنى لا اعتراض عليها ما دامت لا تؤدى إلى زيادة فى المد. أو اختلال فى النطق وموافقة لما أوجبه علماء القراءات.

وهذا يعنى عدم صواب الذى يقول ان التلحين من ابتداع العصر العباسى. اذ وجد فى عصر النبوة ونحن هنا نقصد بقراءة التلحين، قراءة التطريب من المقرىء نفسه، لا هذه الدعوة الآثمة التى تنادى بأن تكون القراءة بالتلحين مع أنغام الموسيقى، فهذه الدعوة لا تستند إلى أى أساس من الدين، فضلا عن انها تخرج بالقراءة عن قصدها والمراد منها.

والشيخ محمود خليل الحصرى يقول: إن القراءة بالتلحين أو الألحان جائزة إذا كانت فى دائرة القواعد المحددة والاحكام المقررة، التى وضعها علماء

التجويد، واستنبطوها من القراءة التى وصلت إلينا بطريق التواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم، بحيث لا تخرج عنها قيد شعرة، والمقصود بالطبع - بالألحان - هى الألحان الصادرة من الصوت الطبيعى للقارىء وليست الألحان الناتجة عن الآلات الموسيقية مصاحبة لقراءة القرآن.

ويرى الشيخ الحصرى، أن القراءات المتداولة الآن بين قراء القرآن الكريم كلها قراءات صحيحة لأنها قراءات متواترة، مأخوذة بالتلقى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهى ما تعرف بالقراءات السبع.

ولقد جاء فى الحديث الشريف عن ابن عباس رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: أقرأنى جبريل فراجعته، فلم أزل استزيده ويزيد لى، حتى انتهى إلى سبعة أحرف، رواه البخارى وسلم.

وفى كتاب «فن الالقاء» لعبد الوارث عسر يأتى بحديث رواه عن الصحابى حذيفة بن اليمان، يقول فيه أنه صلى ذات ليلة خلف الرسول الكريم، وقد اخذ ينصت إلى قراءة الرسول فى صلاته.. وكان صوته عليه الصلاة والسلام جميلا بالقرآن، فكان اذا مر بآية فيها تسبيح سبح. وإذا مر بآية فيها سؤال: سأل وإذا مر بآية فبها عذاب تعوذ.

ومالنا نذهب بعيداً.. اذا ما قلنا أن القرآن معجزة السماء نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فى المجتمع المكى لكى تخشع الألباب «لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله».

ان هناك أيام بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم عشرات، بل مئات القصص والروايات التى تروى حول القرآن، حين سمعه العرب لأول مرة، وما فعله فى القلوب الصلدة الغليظة فرققها، وجذبها إلى جادة الإيمان وعمر بن الخطاب، عندما سمع القرآن لأول مرة، وهى قصة معروفة جعلته فى طريق الايمان.

وهنالك قصة لها دلالتها تروى عن أبى جهل وابى سفيان والاخنس بن شريك، هؤلاء كانو يتسللون فى جنح الليل فرادى إلى جدار بيت الأرقم ليستمعوا من الكوى والنوافذ إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن.

وكان كل واحد منهم يجلس فى مكان مظلم، بحيث لا تراه العيون، وهو يظن أن وحده جاء ليستمع. وذات ليلة حدثت المفاجأة.. التقى الثلاثة وجها لوجه، وهم يهمون بالإنصراف بعد ان انتهى الرسول صلى الله عليه وسلم من التلاوة وسأل كل منهم صاحبه من اين جئت. واطرق الجميع برؤوسهم. وأخذوا يتبادلون الاتهامات وفى النهاية اعتراف ثم عتاب.

ثم اقسموا على ألا يعودوا إلى ذلك مرة أخرى خشية أن يؤدى اقبالهم على سماع كلام الله إلى اتباع محمد والإيمان بدعوة الإسلام. وهذا ما يجب عليهم أن يقاوموه فى أنفسهم أشد المقاومة، ويقاومون فيه غيرهم من الناس.

ثم كانت الليلة التالية، وفيها تحدث كل واحد من الثلاثة إلى نفسه قائلا: إن أحدا لن يذهب الليلة إلى جوار بيت الأرقم، فماذا لو حنثت فى قسمى وذهبت وحدى.

وذهب الثلاثة.. ليستمع كل منهم الى الرسول وهو يقرأ القرآن، وعندما فرغ صلى الله عليه وسلم من التلاوة اخذ كل منهم يطوف حول دار الأرقم ليتأكد من أنه وحده هو الذى ذهب.

وتقابلوا مرة أخرى ونشب الشجار بينهم، ووصل الأمر الى التلاحم والتبارز بالالفاظ.

على أية حال ظل أبو جهل وصاحباه على تلك الحال من القسم باللات والعزى ألا يذهبوا.. ثم يحنثون فى قسمهم ويذهبون.. ولم يستطيعوا أن يكبتوا دوافع هذه الرغبة العارمة فى نفوسهم والتى جذبتهم اليها تلاوة الرسول للقرآن الكريم.. الا بحيلة ساذجة.. هى الاجتماع فى بيت أحدهم كل ليلة.

هذه قصة ذات دلالة.

ثم.. هذا هو الوليد بن المغيرة، أحد سادة الابداع البلاغى فى العرب، يقف فى قومه مأخوذا، بعد أن سمع آيات بينات من القرآن الكريم، يقول لهم: لقد سمعت من محمد كلاما.. ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن.. ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة، وان أعلاه لمثمر، وان أسفله لمغدق، وأنه يعلو ولا يعلى عليه.

واذا كان الوليد لم يدخل الاسلام بعد هذا خوفا وجبنا.. فقد دخله لبيد بن

ربيعة، أحد شعراء المعلقات السبع، وظل طوال أربعين عاما فى الاسلام لا يقول الشعر، وكان كلما سئل لماذا لا يقول الشعر؟.. يجيب بقراءة سورة من القرآن ويقول: لقد أبدلنى الله خيرا من الشعر.

والذين يعرفون الشيخ رفعت، يعرفون شدة تواضعه وشدة حساسيته. حتى انه عندما اصيب بالمرض، وصرف كل ماعنده على حنجرته ومرض «الظغطة» نادى الاستاذ فكرى أباظة - يرحمه الله - على صفحات «المصور» بافتتاح اكتتاب لعلاج الشيخ رفعت فى الخارج، لانه ثروة قومية روحية مصرية. وانهالت الاموال على «المصور».. لكن الشيخ رفعت رفض الاكتتاب شاكرا وأوقفه.. هذا فى الوقت الذى كان يبيع فيه أثاث منزله ليشترى الدواء.

ويقول القريبون من الشيخ رفعت رحمه الله، انه عندما اصابه المرض.. استسلم الى امر الله، وجلس فى منزله يصلى، وكان يغلق على نفسه باب حجرته بالساعات، وكان اذا مادخل أحد من أولاده.. يراه يستقبل القبلة ويدعو الله بالشفاء. وعيناه تبكيان الدموع مدرارا.. وكان دائم الدعاء بقوله: «اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسأل اللطف فيه».. ولقد كان مؤمنا راضيا بقضاء الله وقدره..

واذا كان الشيخ أحمد ندا لم يترك تسجيلات، فان الشيخ رفعت قد ترك الكثير، لكن هذا الكثير كان موزعا على اسطوانات عند كثير من الذين كانوا يبخلون بها على الاذاعة المصرية وعلى عشاق صوت الشيخ رفعت جيلا بعد جيل.

والذى خدم الشيخ رفعت وخدم القراء ايضا، انه فى بداية ارسال الاذاعة المصرية فى ٣١ مايو ١٩٣٤، كان الشيخ رفعت يتلو القرآن الكريم يوميا على الهواء مباشرة لمدة خمسين دقيقة فى كل وقت من أوقات الصلاة. ونظرا للارهاق الشديد الذى تعرض له من جراء ذلك، فقد طلب ان يساعده بعض القراء من زملائه، لكن الاذاعة طلبت اليه - استجابة لرسائل المستمعين - ان يقرأ بتسلسل من أول القرآن الكريم الى آخره، حتى يكون له مصحف مسجل.. غير أن تسجيل القرآن كله بصوت الشيخ رفعت لم يتم، واستمر الشيخ يقرأ على الهواء، حتى مرض عام ١٩٤٠، وظل مريضا وبعيدا عن الاذاعة حتى توفى فى ٩ مايو ١٩٥٠.

لكن منذ وفاة الشيخ رفعت بدأت اسرته تجمع تسجيلاته التى توجد عند أسرة صديقه التاجر محمد خميس، وأسرة زكريا مهران باشا، كما حرصت الاسرة على ان تستفيد من التسجلات الموجودة كلها، وتدعم بعضها ببعض بتكملة الناقص منها. وقدمت للاذاعة ٥ شرائط فى عام ١٩٥٤. كما قدمت الاسرة لاذاعة الشرق الاوسط عدة تسجيلات مدة كل منها خمس دقائق بدأت بها اذاعة الشرق الأوسط. منذ افتتاحها.. وحين بدأت اذاعة القرآن الكريم أهدت الاسرة مابقى عندها دون مقابل..

والغريب - كما يقولون - ان الشيخ رفعت عند افتتاح محطة فؤاد الاهلية للاذاعة ورتل بصوته العذب الجميل آيات من القرآن الكريم، طلب منه الحاضرون يومئذ وبينهم الأستاذ أمين المهدى - وهو من يعرفه أرباب السهر والفن - اقول طلبوا من الشيخ رفعت أن يغنى بصوته، فنزل على طلبهم مشترطا الا يذاع اسمه وغنى فى هذا اليوم «وحقك انت المني والطلب» التي تغنيها ام كلثوم، واستمع اليه الناس فى طرب بالغ، وهم لايعرفون من المغنى بالطبع، وقد وافق الشيخ رفعت على الغناء - على مايقال - نزولا على رغبة صديقه امين المهدى الذى كان يعشقه. وكان امين المهدى يظل ساهرا وحوله أهل الفن والنغم فى بيته.. حتى اذا ما جاء الفجر يسدل الستائر على نوافذ وابواب بيته حتى لايعرف متى يأتى النور، ويظل الليل متصلا..

والحقيقة ان الشيخ رفعت كان بحق نجما كبيرا وفريدا من نجوم القراءة.. حتى ان مفتى دمشق حين مات الشيخ رفعت نعاه وقال:«لقد مات المقرىء الذى جدد شباب الاسلام».

والشيخ رفعت لم يستقطب اهتمام المسلمين فى مصر وحسب، وانما استقطب قلوب المسلمين فى دنيا الاسلام، رغم أنه لم يذهب خارج مصر ابدا، كان المسلمون كلهم ينصتون وينتظرون تلاوته فى الوقت المحدد للإذاعة ولإذاعات الخارج.

لقد كان اداؤه معبرا، فمن يستمع اليه فى صورة «مريم»: «يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا».. يدرك معنى العتاب فى الآية.. ومن يستمع اليه فى سورة «الرعد».. يحس بالرعد إذا عصف.. وكان اذا تلا سورة «طه» يصور كيف يعلم الله السر وما يخفى، وسر الرياح إذا ذرت.

ولقد جملت هذا الشيخ الجليل، صفات ذات اخلاق عالية.. كان شديد الحساسية من أى شىء، كثير الاحسان، وكان يردد: «كيف تذل نفس وهى عزيزة بكتاب الله»..

وقد سهر ليلة عند أحد الباشوات فى بنها.. واغضبه الباشا. فرفض أن يأخذ أجرا، وسار من بنها الى القاهرة هو وولده الكبير على أقدامهما، مخافة أن يقترض من أحد أجرة السفر. فقام من بنها فى منتصف الليل، ووصل القاهرة ظهر اليوم التالى.

يقول الامام المراغى، وكان شيخا للجامع الازهر، واصفا الشيخ رفعت: «انه منحة من الاقدار حين تهادن وتجود، بل وتكريم لنوعنا الانسانى، فهو خير من رتل القرآن وخير من تلاه فى القرن العشرين والى أن يشاء الله»..

وما قاله الشيخ المراغى حق، فقد كان الشيخ رفعت خصب الروح صبيح الوجه، وكان حديثه العادى همسا مرتلا، وصوته معجزة.

وحين أتعبته الاذاعة، وتنكرت له وقاطعها استطاع الامام المراغى أن يقنعه بالعودة.. وقد استأنف التلاوة فى الاذاعة يوم ٣ مارس ١٩٤٠.. وكان يومها عيدا.. كان عيدا زفه الى عشاق صوت الشيخ رفعت المرحوم الاذاعى الرائد عبدالوهاب يوسف.

ويقال ان السبب فى خلافه مع الاذاعة هو طلبه مساواته مع زملائه المقرئين فلم يجب طلبه.. فكان امتناعه.. مما هز دنيا المسلمين شعبا وحكاما وملوكا.. وان خلافه الاخير مع الاذاعة عجل بمرضه العضال.

ويقول الموسيقار المرحوم محمد عبدالوهاب، وهو يتحدث عن ذكرياته مع الشيخ رفعت: «نشأت بينى وبين الشيخ رفعت صداقة عميقة. فكان يدعونى لاسهر معه فى بيته - بحى البغالة - وكان يغنى لى بعض القصائد فى رخامة ساحرة مثل «وحقك أنت المنى والطلب» و «أراك عصى الدمع» ، «بحق هواك يامن أنت عمرى».. واحيانا كان الشيخ رفعت يقلد نداءات الباعة الجائلين فى ظرف بالغ. وعندما كنت أستمع اليه وهو يقرأ القرآن الكريم ، أتحول من صديق الى خادم واجلس تحت أقدامه وانا استمع اليه فى خشوع والدموع تنهمر من عينى، فقد كنت أحس أنه بين يدى الله فعلا»..

والشيخ رفعت الذى ولد بحى المغربلين.. كان حينما يقرأ سورة الكهف» فى مسجد فاضل - وعمره ١٥ سنة - يزدحم المسجد بالمصلين، فيفرشون الحصر خارج المسجد ليستمعوا اليه. لم يكن يحاول - كما يقول عبدالفتاح غبن صاحب أعظم ارشيف فى مصر - ان يعلو بصوته أو يرتفع به.. ومع ذلك كان كل من فى المسجد وخارجه يستمعون اليه ولايفوتهم حرف واحد مما قاله..

وقد استطاع ذلك الفتى الضرير النحيل، ان ينتزع مكانه كمقرىء كبير وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، لقد اجتمع فى صوته، كما يقول علماء الموسيقى، كل ميزات الحنجرة العربية من الانغام والاوتار الصوتية الخلاقة.. فضلا عن استيعابه المذهل لمعانى القرآن الكريم، وتمثيله اياها للناس.. كأنما يلمسونها بالايدى ويرونها بالأعين، فلا تحس فى نبرات صوته شيئا من الخلخلة او النشاز، أو الخروج على مجرى النغم.. لكنك تجده دائما متحكما فى صوته يبتدىء به حيث يريد، ويقف حيث يرغب.. فيهز وجدان السامع.. ويثير فى نفسه كوامن الايمان. لقد اثبت بترتيله الساحر موسيقية القرآن الكريم، فشدوه الفريد فى تسلسله وامتداده، يريك من فنون البلاغة أعاجيب، فيظهر لك انسجام الالفاظ وتآلف المعانى، وقوة التصوير، وروعة الايحاء فى بساطة معجزة..

كان الشيخ محمد رفعت يعرف مواضع الترهيب والزجر، وأساليب التشويق والترغيب، فيكون اعصارا عنيفا.. أو نسيما رقيقا، ولم يكن الشيخ رفعت فنانا فى أدائه الصوتى فحسب، بل كانت روح الفنان تغمر جوانب مضيئة من حياته، كان يحب الموسيقى ويعشقها.. وقد دفعه هذا الحب الى دراستها، فقد تعلم قواعدها وأصولها على أيدى كبار الملحنين فى عصره.. وحفظ منهم عشرات من الأدوار والقصائد والتواشيح وتعلم العزف على العود.. كما كان يتلقى دروسا متواصلة فى تفسير القرآن الكريم وفى علم القراءات بكل أعدادها.

يقول الشيخ عبد الباسط عبد الصمد.. ان الشيخ رفعت عالم وحده، الانسان حين يسمعه يقشعر من تلاوته البدن.. ان الشيخ اتقى الله فى قراءة القرآن ونسى الدنيا وما فيها.. والانسان طالما قرأ من قلبه، وصل الى قلب المستمع فكان له التأثير الكبير.. وكان هذا هو الشيخ رفعت.

لكن الوحيد من القراء الموجودين الذين وافقوا الشيخ رفعت وتتلمذوا عليه وصادقوه، هو الشيخ أبو العينين شعيشع، الذى يقول: انه لم يأت قبل الشيخ رفعت ولا بعده يرتل ترتيله، لايمانه بالله وخشوعه واحساسه بالقراءة.

ويقول الشيخ أبو العينين شعيشع:

- جئت إلى القاهرة وعمرى ١٧ سنة فى عام ١٩٣٩.. ذهبت لاسمع الشيخ رفعت فى مسجد فاضل بدرب الجماميز.. وهناك كان السعيد الذى يجد مكانا بجوار الكرسى الذى يجلس عليه الشيخ رفعت، ولكى تجد هذا المكان لابد أن تكون هناك الساعة التاسعة صباحا، أى قبل قراءة السورة بساعتين.

وحين سمعته - وكان ذلك لأول مرة- انبهرت بأدائه وحسن تلاوته ومخارج الحروف وخشوعه.. وبعد الصلاة التقيت به وقبلت يده وعرفته بنفسى- وكان النور يتلألأ من وجهه- واتخذت منه استاذا لى مدى الحياة، وكنت باستمرار على صلة به.

ويضيف الشيخ أبو العينين شعيشع:

- فى بداية الاربعينات، ومنذ عام ١٩٤٣ مرض الشيخ، ولعبوا فى حنجرته فافسدوها، وزاد على ذلك مرض الظغطة.. حتى ان البعض قال ان السبب فى ذلك هو الجن، وكان الشيخ رفعت يقول «كل ما جاء من عند الله فهو راض به».

لكن من الاسباب التى أثرت عليه حقا، معاملة الإذاعة له.. فقد كان دائما يشكو لى من الإذاعة عندما كنت أزوره فى بيته فى البغالة.. كانت لجنة الإذاعة كلها ضده.. وكنت أواسيه وأقول له: ان الناجح دائما محسود.

والسبب الحقيقى فى خلاف الشيخ رفعت مع الإذاعة، انه طالب بأجر مثل أجر أم كلثوم، لكن أرباب الإذاعة رفضوا.. وكنت حينما أذهب الى بيت الشيخ رفعت استفيد دائما، فقد كنت أسمع عنده موسيقى موزار وبيتهوفن، وكان الشيخ رفعت دائما يخاف حين يذهب للقراءة فى حفل.. كان يبكى دائما لأنه كانت لديه حساسية مفرطة.

والشيخ رفعت كما أرى «سميع» بقدر ما هو قارىء مجيد، وهو أيضا- وكما أرى- القرآن الذى يسمع حقا.. فقد كان يقرأ من جميع النغمات والطبقات وبالتدريج وعلى الأصول المرعية فى الأداء.

وحين كلمنى مدير الإذاعة فى الخمسينيات محمد أمين حماد، وقال لى أنه وجد عدة أشرطة مسجلة للشيخ محمد رفعت وفيها بعض آيات ناقصة ونريدك أن تكمل الآيات.. فرحبت وفاء وحبا للشيخ رفعت قمت بعمل المطلوب متبرعا من أجل أسرته.. وكنا نستغرق فى رتق الحرف الواحد أكثر من ساعتين أو ثلاثة.



فى عام ١٩٤٣.. يحكى شاهد عيان عن مأساة الشيخ رفعت، صاحب أرقى حنجرة وأسمى فن سمائى فى مصر فى القرن العشرين، فيقول: رأيت مأساته فى لحظات رهيبة تشبه الحلم المرعب، وقد أحاطه مئات المستمعين فى مسجد فاضل باشا بدرب الجماميز.

كانت عادتى أن أذهب الى مسجد فاضل يوم الجمعية مبكرا، لأجد مكانا قريبا من الشيخ رفعت، فقد كان صوته الحلو- على تعدد مقاماته- صغير المساحة لا يسمعه جيدا إلا القريبون من مجلسه.

وكنت ألاحظ- كما يلاحظ غيرى- ان الزغطة التى أصابت الشيخ تقلل مقدرته على التحكم فى صوته بالصورة المعجزة التى كانت معروفة عنه قبل هذا المرض اللعين الذى عجز الطب عن علاجه.

وفى المرة الأخيرة التى سمعته فيها، كان يتلو السورة فى المسجد فقاوم

الزغطة، وقرأ بقدر ما تسمح نوباتها المتكررة.. ثم سيطرت الزغطة على الموقف وملأت حلق الشيخ وحبست صوته، وهنا أخرج من جيبه زجاجة صغيرة مملوءة بسائل أحمر، فشرب منها قليلا، ثم عاد يحاول التلاوة.. فقرأ آية أو آيتين، ولكن الزغطة سرعان ما تغلبت على الدواء وقهرت حنجرة الشيخ، فتوقف وترك مكانه لشيخ آخر.. وفى هذه اللحظة انفجر الناس فى المسجد باكين، وعلا نحيب المقرئين الشبان الذين كانوا يلتفون حوله كل أسبوع ليتعلموا طريقته وصناعته، وتحول الموقف إلى مأتم رهيب للصوت العبقرى الذى ضاع.

والذى نقوله فى نهاية حديثنا عن الشيخ رفعت.. ان المرضى بدد كل أمواله، ولم يكن له سوى مرتبه فى الإذاعة وهو ٢٤ جنيها فى الاسبوع.. حين كان يقرأ فيها أربع مرات فى الاسبوع.. يقتات منه أبناؤه الثلاثة: محمد وأحمد وحسن وبنت واحدة.. وظل المرض معه إلى أن لاقى وجه ربه راضيا مرضيا بعد أن أسعد الملايين من المسلمين.

تعاصر مع الشيخ محمد رفعت كثير من نجوم القراء.. زاملوه فى السهر وفى الإذاعة، ومنهم الشيخ على حزين، والشيخ على محمود، والشيخ عبد الفتاح الشعشاعى، والشيخ محمد الصيفى والشيخ عبد العظيم زاهر.. وكذلك الشيخ محمود صبح.

والشيخ على حزين توفى عام ١٩٧١.. وهو من رجال الرعيل الأول، من نجوم القراءة، ومن أوائل من قرأوا فى إذاعة القاهرة، وإذاعة القاهرة لا تملك غير شريط واحد عليه تسجيل لسورة «يس» للشيخ على حزين.. والسبب هو خلاف قديم بينه وبين الإذاعة حول الأجر.

أما الشيخ على محمود فقد كان عبقريا، ونجما من نجوم القراء.. كما كان أيضا من نجوم الملحنين.. كان عالما بفن الموسيقى الشرقية، وحافظا للتواشيح.. بل كان هو أعظم من لحن التواشيح. وكان مقلا فى قراءة القرآن.. لكن بيته فى العباسية كان ندوة للفن والآدب، ومن بيته خرج الشيخ سيد درويش، والشيخ زكريا أحمد، ومحمد عبد الوهاب، وكان أبرز تلامذته فى التواشيح الشيخ طه الفشنى، والشيخ منصور بدار.. والأخير برز أيضا فى قراءة القرآن الكريم.

وهناك حكاية عن الشيخ على محمود يحكيها الشيخ شعيشع.. كان الشيخ على يحتفى دائما بمولد الحسين.. وكان لهذا يذبح الذبائح ويحيى الليلة الكبيرة.. فى هذه الليلة سقط له ابن فى «حلة» كبيرة بها ماء مغلى، فمات الابن.. لكن الرجل أحيا الليلة الكبيرة على احسن ما يكون وكتم حزنه فى نفسه حبا منه لآل البيت ولسيد الشهداء الامام الحسين.

وقد عاصر الشيخ على محمود واستمر بعده كل من الشيخ محمد الصيفى، والشيخ عبد العظيم زاهر، وكذلك بالطبع الشيخ أبو العينين شعيشع الذى سهر معه ليالى كثيرة، ويصفه بأنه «كلية للأداء وكلية للقراء الفنانين فى أدائه وتلوين صوته وتعبيره.. وكان يقول أشياء لا تخطر على البال، ويتميز فى التواشيح أكثر منه فى القراءة».. كما يصف الشيخ شعيشع الشيخ الصيفى بأنه كان قارئا عالما.. أما

الشيخ عبد العظيم زاهر.. فقد كان- فى رأيه- له طريقته الخاصة.

أما الشيخ محمود صبح فقد كان ظاهرة جديرة بالحديث، حفظ القرآن فى سن مبكرة ودرس علوم الموسيقى وفنونها، فتعلم العزف على البيانو، والعود والناى.. واستطاع أن ينافس كبار القراء فى العشرينيات والثلاثينيات.. إلى أن مات فى ابريل ١٩٤١.. وهو يرتل القرآن وينشد القصائد والتواشيح، ويغنى.. لكن الشيخ محمود صبح برز فى الغناء أكثر مما برز فى القراءة، وان كان متمكنا فى الاثنين.. فقد كان يذهب إلى الإذاعة- رغم أنه ضرير- على عجلة، يمسك «الجادون» بيد، ويمسك بعصا بيده الأخرى.. وكان يحب السكن فى الأدوار العالية.. ويحب ركوب الدرابزين ينزل عليه.. وكان صديقه وجاره الشاعر أحمد رامى.

ومن المشايخ النجوم الذين عاصروا الشيخ رفعت الشيخ عبده عبد الراضى، وكان صوته جميلا متمكنا.. لكنه مات قبل الإذاعة وقبل أن يسعد الناس من خلال ميكروفونها.. وقد ذكره الشيخ مصطفى اسماعيل عليهما رحمة الله، وقال انه تأثر به، وانه أحد أساتذته.

يقول أنور الجندى بالحرف الواحد:

«كان للشيخ رفعت ندوة فى شارع يحيى بن زيد فى حى السيدة زينب.. يجتمع فيها هواة فنه الرفيع، وحينما كان يقرأ الشيخ رفعت ينصت الناس وكأن على رؤوسهم الطير، ولو اسقط ابرة لسمعت صوتها، والشيخ رفعت يحتل اروع خلق للعزوف عن اتخاذ قراءة القرآن وسيلة للكسب.

ان الشيخ رفعت كان يقرأ فى سراى مصطفى فاضل باشا فى ليالى رمضان وظل على ذلك أحد عشر عاما متصلة، واتصل اسمه باعلام القراءة فى مصر فى تلك الفترة مثل الشيخ أحمد ندا، والشيخ القيسونى، والشيخ الصواب..

دعاه نظام حيدراباد ليقرأ عنده نظير ١٥ ألف جنيه.. وكان وقتها الجنيه جنيه، لكنه رفض، فلما أحس مفاوضوه أن رفضه قد يكون بسبب قلة المال المعروض زادوا الأجر.. وما علموا أنه كان عازفا عن مثل هذا المال.

يقول الشيخ رفعت: لم أسهر رمضان عند كائن من كان سوى سراى فاضل باشا الذى تعلمت فيها القرآن، وكانت بعض سهراتى فى الريف، وكانت تكلفنى ما لا أطيق.. من متابعة القراءة حتى أتعب.. خاصة عندما كان العمد يحضرون ويطلبون سماعى، وكان السفر يضطرنى الى تغيير نظام حياتى ومع ذلك لم أكن أتبرم.

لكن أهم سهراتى فى رمضان كانت فى بيتى.. وكنت أقضى الوقت فى الاستماع الى الموسيقيين العالميين مثل بيتهوفن وموزار..

ويقول أنور الجندى فى كتابه: أن الشيخ رفعت كان يخصص نهاره فى الأسبوع لزيارة حديقة الحيوان وكان يحلو له أن يجلس قريبا من بيت الأسد ليسمع زئيره مرة بعد أخرى، فهو كما كان يقول ويردد: أن صوت الأسد، أكثر الاصوات عمقا فى «القرار».

وفى عصر الشيخ رفعت أيضا.. كانت هناك قارئات للقرآن الكريم، واشهرهن كانت الشيخة اسمهان، التى كانت تقرأ القرآن فى سوامر حاشدة بالرجال.. مع الشيخ أحمد ندا، والشيح حسن الصواب وكان صوت الشيخة اسمهان يعجب الشيخ محمد رفعت كل الاعجاب، ويقول: أنه فى حياته لم يسمع بصوت يفوق صوتها فى الترتيل، وعلى ذكر القارئات.. يثور تساؤل حول الرأى فى قراءة النساء للقرآن..

لقد عرف الاسلام المرأة فى مجال القرآن الكريم.. كاتبة وقارئة، واخبار العالمات بالقرآن الكريم وقارئاته مما يضيق عنه المقام هنا، فقد كان فى قصر زبيدة زوجة الرشيد مائة قارئة للقرآن، وكان يسمع من قصرها كدوى النحل من القراءة.

وكان فى ضاحية واحدة من قرطبة مائة وسبعون امرأة، كلهن يكتبن المصاحف ويقرأن القرآن.. حتى أن اصحاب المثاقب مثل أبى نعيم يتحدثون عن نساء كثيرات كن يقرأن القرآن بالالحان قراءة مؤثرة.



إذا قيل أن القراء.. وعاء القرآن الكريم، وأنهم أهل الله وخاصته.. كما يردد

ذلك الشيخ محمود خليل الحصرى.. فإن قراءة القرآن الكريم تشترط فيمن يرتل القرآن أن يكون ذا صوت حسن جميل، وأن يؤدى التلاوة بما يرضى الله ورسوله، وقراءة القرآن لها قواعد وشروط ولابد أن تكون فى اطار الاحكام المقررة التى وضعها أئمة القراءات من الضبط والتجويد.. والتى جاءت بالتواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم.. أول قارئ للقرآن فى عصر الاسلام.

وعظمة القرآن الكريم.. واعجازه.. أنه لابد لمن يريد قراءته وحفظه أن يتلقاه شفاها فالانسان مهما كانت قدرته وبلاغته لايستطيع أن يقرأ أو يحفظ القرآن بنفسه.. وهذا هو سر الاهتمام بالكتاتيب ومكاتب تحفيظ القرآن.

ثم هناك مرحلة أخرى بعد حفظ القرآن.. هى تدبر ودراسة تفاسيره ومعانيه.

ثم مرحلة ثالثة.. وهى للقارئين، إذ أنه لابد أن تتوافر فى قارئ القرآن، معرفة احكام القراءة والوقوف على أصول التجويد والاداء الحسن، ثم حسن الصوت.

فقراءة القرآن الكريم ـ تجويدا وترتيلا ـ لها قواعد لا تخرج عنها، وهى المحددة فى نطاق القراءات السبع.. أما النغمة التى يقرأ بها القرآن الكريم فهى من عند المقرئ على حسب اجتهاده.

وهناك ما يعرف بالقراءات العشر: وهى القراءات أو النماذج لقراءة القرآن، وهى تنسب الى الأئمة الذين يبلغ عددهم عشرة، وهم: نافع وأبو جعفر المدنيان، وابن كثير المكى، وأبوعمر، ويعقوب البصريان، وابن عامر الشامى، وعاصم وحمزة والكسائى وخلف الكوفيون.

تلحين القرآن

ويثور تساؤل هنا.. يظهر بين حين وآخر حول تلحين القرآن الكريم.

هناك طوائف من متأخرى الفقهاء لم تر اجازة التلحين وقالوا أنه لم يحدث فى عصر النبوة ولا فى عصر الصحابة، وقالوا كذلك أن قراءة القرآن كانت ترتيلا كما أمر الله فى كتابه العزيز: «ورتل القرآن ترتيلا» أية ٤ سورة المزمل، ومعنى الترتيل هو التبيين، كما قال الزجاج، الذى لا يتم بأن يتعجل فى القرآن، وإنما تبيين جميع الحروف وتوفيتها حقها، وهذا ما أمر به المولى جل شأنه، وقد قيل أن قراءة القرآن بالتلحين أو الترنم بالصوت الحسن غير جائزة وأنها من مبتدعات العصر العباسى، واستمرت الى يومنا هذا. وأن القرآن الكريم لم يقرأ بالتلحين قبل العباسيين ولو وجدت قراءة التلحين فى عصر صدر الاسلام لجاءت بها الاخبار.

وأصحاب هذا الرأى يرون أن القراءة على هذا النحو مكروهة، إن لم تكن حراما.. لأن المستمع الى القراءة بالتلحين ينصرف عن تدبر معانى القرآن الكريم إلى الافتتان لغناء القارئ.

لكن.. هذا الرأى لا يوافقه بعض الفقهاء ويدللون على ذلك بأنه أوثر عن النبى ﷺ - كما روى البخارى - أنه عليه الصلاة والسلام، قرأ سورة «الفتح» فى السفر «يرجع فيها» وأنه ﷺ قال: «حسنوا القرآن بأصواتكم، فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا»، وهذا الحديث رواه البيهقى.

وهناك حديث عن سعد بن أبى وقاص عن ابن عباس، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم جميعا، يقول أن الرسول ﷺ قال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، وهذا الحديث رواه الحاكم فى المستدرك.

كما روى عن الرسول ﷺ أنه حين سمع لقراءة ابن مسعود - ونحن نعرف من هو ابن مسعود الذى قرأ القرآن أمام الكعبة وتعرض لايذاءات المشركين - قال له الرسول: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود» وقد فسر العلماء هذا المزمار، بأنه الصوت الحسن.

ومعنى ذلك.. أن قراءة القرآن بالتغنى جائزة - وقد قرأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم واستمع الى القراءة بها من الكثيرين واستحسنها. ففى «زاد المعاد» لابن القيم:

أن عمر بن الخطاب كان يقول لابى موسى الاشعرى: ذكرنا ربنا، فيقرأ أبو موسى ويتلاحن وكان عقبة بن عامر، احسن الناس صوتا بالقرآن، فقال له عمر بن الخطاب: أعرض على سورة كذا.. فعرضها عليه فبكى عمر، وقالوا كذلك أن الإمام أبا حنيفة واصحابه كانوا يستمعون الى القرآن بالتلحين، وأن الإمام الشافعى رحمه الله وتلامذته كانوا يسمعون القرآن بالالحان.

اللسان والقلب والعقل

يقول حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالى:

«وكانوا- أى السلف الصالح- يتلونه حق تلاوة، تلاوة يشترك فيها اللسان والعقل والقلب.. فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسيرالمعانى، وحظ القلب الإتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار.. فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ».

ويقول علماء التجويد والقراءات:

حقيقة التجويد هى اعطاء كل حرف حقه من الصفات الثابتة، مع بلوغ الغاية والنهاية فى اتقان الحروف وتحسينها وخلوها من الزيادة والنقص، وبراءتها من الرداءة فى النطق، وتحرير مخارجها، وبيان صفاتها اللازمة لها من همس واستعلاء وقلقلة.. إلى آخر ما ذكره الأئمة.

فالتجويد.. هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو اعطاء الحروف حقها، ورد الحرف الى مخرجه، وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به.. من غير اسراف ولا تعسف ولا افراط ولا تكلف.

وقد أخرج الامام البخارى رضى الله عنه، عن مسروق، عن عائشة، عن فاطمة البتول، أنها قالت: أسر النبى ﷺ إلى وقال: «ان جبريل كان يعارضنى- أى يدارسنى- بالقرآن فى كل سنة مرة، فعارضنى الآن مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلى».

وقد ذكر الأئمة ان النبى ﷺ، كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام، من أوله إلى آخره.. بتجويد اللفظ، وتصحيح اخراج الحروف من مخارجها، ليكون ذلك سنة يأخذها السلف، وليعرض التلاميذ قراءاتهم على الشيوخ.

ان تجويد الحروف، وترتيب السور والآيات، والقراءات المتواترات، هى أمر توقيفى، لأن جبريل عليه السلام أخبر الرسول ﷺ بكل هذه الاحكام فى العرضة الأخيرة».

وقد علم النبى ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم ما فيها، ثم علم الصحابة التابعين، ثم أئمة القراءة فى جميع الامصار والعصور.. حتى وصلت الينا القراءات مجودة بطريق التواتر.

لكن.. كيف نعلم القراءة والترتيل ونجودها.. وكيف نتعلمها؟

ان النبى ﷺ، مع كمال فصاحته، ونهاية بلاغته.. تعلم القرآن عن جبريل عليه السلام فى جميع السنين ومنذ نزل القرآن.. وخصوصا فى السنة الاخيرة التى لاقى فيها وجه ربه راضيا مرضيا.

ويقول العلماء أن الأخذ عن الشيوخ يأتى على نوعين:

النوع الأول: أن يسمع المتعلم من لسان المشايخ، وهى طريقة المتقدمين.

والنوع الثانى: أن يقرأ المتعلم فى حضرتهم، وهم يسمعون قراءته.. وهذا مسلك المتأخرين.

وقد اختلف فى أى الطريقين أفضل؟. وقيل أن النوع الثانى، هو أفضل طريقة فى زماننا لتجويد القرآن وحفظه.

لكن النوعين مطلوبان الآن.. وهما أن يقرأ الاستاذ ليسمع التلميذ، ثم يحفظ التلميذ ويقرأ على الاستاذ، والنوعان حدثا أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، وبحضوره واقراره.

فقد روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنهما، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبى بن كعب: «ان الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن»- أى أعلمه لك- قال أبى: «الله سمانى لك..» قال الرسول: «سماك» فجعل أبى يبكى.

ويقول العلماء.. ان الله تعالى أمر رسوله، ليعلم أبيا أحكام التجويد والمخارج والصفات وأحكام القراءات.. كما تلقاها نبى الله عن جبريل عليه السلام، التى تلقاها عن اللوح المحفوظ عن المولى عز وجل.

فالمراد من قراءته ﷺ على أبى، تعليمه وارشاده، وهو من أتقن قراء الصحابة، وأشدهم استعدادا لتلقى القرآن الكريم من رسول الله ﷺ.. الذى تلقفه عليه الصلاة والسلام من جبريل.

وجدير بالذكر أن أبيا بذل جهده، وسعى سعيا بليغا فى حفظ القرآن الكريم وما ينبغى له.. حتى بلغ الغاية العظمى، وأصبح إماما فى هذا الشأن.. حتى قال الرسول ﷺ لاصحابه: «أقرؤكم أبى».

وبالنسبة للنوع الثانى، وهو أن يقرأ المتعلم ليسمعه المعلم والمعلم هنا هو

الرسول الأعظم المرشد الهادى، والمتعلم هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقد روى البخارى عن النبى ﷺ، أنه قال: من أحب أن يقرأ القرآن غضا، فليقرأ قراءة ابن أم عبد».. وابن أم عبد هنا هو عبد الله بن مسعود.

والمراد بالغض.. أى الطرى.. فقد كان ابن مسعود رضي الله عنه قد أعطى حظا عظيما فى تجويد القرآن وترتيله، كما أنزله الله تعالى.

وقد أمر الرسول ﷺ ابن مسعود ان يقرأ عليه ما تيسر من القرآن. فقال ابن مسعود للرسول: «أأقرأ عليك، وعليك أنزل» فقال الرسول: «أحب أن أسمعه من غيرى».. فقرأ ابن مسعود على الرسول، سورة النساء.. إلى أن وصل إلى قوله تعالى: «فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا».

عندها قال الرسول لابن مسعود: حسبك الآن.

والتفت ابن مسعود الى الرسول بعد أن توقف عن القراءة.. فاذا هو يرى عينى الرسول ﷺ وهما تذرفان الدمع.

ثم نأتى إلى قضية القراءة نفسها.

وأهم ما فى هذه القضية هى الوقف والابتداء.. وهما حالتان ينبغى لقارىء القرآن الكريم أن يحيط بهما علما، ليعرف ما يقف عليه ويبتدىء به، حتى أن بعض الأئمة جعل الوقف واجبا.. طبقا لما ورد من أن عليا بن أبى طالب رضي الله عنه، سئل عن قوله تعالى: «ورتل القرآن ترتيلا».. فقال مجيبا: «الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف».

فالوقف والابتداء واجب ينبغى تعلمه ومعرفته.. لأن الوقف والابتداء- كما يقول ابن عمر- أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد صح، بل تواتر، ذلك.. حيث اعتنى السلف الصالح بالوقف والابتداء.. من أمثال أبى جعفر بن يزيد بن القعقاع إمام أهل المدينة، الذى هو من أعيان التابعين، وكذلك الامام نافع بن أبى نعيم، وأبو عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمى، وعاصم بن أبى النجود الكوفى.

ولا شك أن تجويد القرآن الكريم بصفة عامة يتمثل فى اعطاء كل حرف حقه، من اظهار المظهر، وادغام المدغم، وقصر المقصور، ومد الممدود، وتفخيم المفخم وترقيق المرقق.. إلى غير ذلك.

يقول البيضاوى: أن معنى الآية الكريمة «ورتل القرآن ترتيلا» جوده تجويدا.. وكما قال الامام على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكرم الله وجهه: «الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف».

ففى كلام على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما يقول الامام المحقق ابن الجزرى فى كتابه «النشر فى القراءات العشر» انه فى كلام على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليل على وجوب تعلم والوقف والابتداء ومعرفتهما، وقد صح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أنه قال لقد عشنا برهة من الدهر، ان أحدنا ليؤثر الايمان قبل القرآن، وتنزل السورة على النبى ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزجرها وما ينبغى أن يوقف عنده فيها؟

ويقول الرسول ﷺ: «ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما انزل».. ويقول: «اقرءوا القرآن كما علمتموه».. وأيضا يقول ﷺ: «رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه».. اذا أخل بمبانيه أو معانيه، أو العمل بما فيه.. ومنها الترتيل والتلاوة بالطبع.

وقد قال أبو حاتم: «من لم يعرف الوقف لم يعرف القرآن، وقال ابن الانبارى: «من تمام معرفة القرآن، معرفة الوقف والابتداء».

وقال الامام الهزلى فى كتابه الكامل الوقف حلبة التلاوة وزينة القارىء، وبلاغ التالى، وفهم المستمع وفخر العالم، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتنافيين، والحكمين المتغايرين.

لقد اهتم السلف الصالح من العلماء بمعرف الوقف والابتداء، وحضوا الناس على تعلمهما وتعليمهما والاهتمام بشأنهما.. لما لهما من جليل الأثر فى حسن التلاوة، وجودة القراءة فكثيرا ما يكون فى وقف القارىء على الكلمة تنبيه للسامع، ولفت نظره الى معنى الآية، وادراك مغزاها، ويكون فى وصل الكلمة بما بعدها ابهام معنى فاسد.

ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى فى سورة يونس: «ولا يحزنك قولهم، ان العزة لله جميعا هو السميع العليم» فالقارىء اذا وقف على «قولهم» فهم السامع ان معنى الآية نهيه ﷺ عن الحزن على قول المشركين فيه، بما لا يليق بمقامه الرفيع، كما فهم ان قوله تعالى «ان العزة لله جميعا» من قول الله تعالى لنهيه ﷺ عن الحزن.

أما إذا وصل القارئ قوله تعالى «قولهم بقوله»: «إن العزة لله جميعا» فإن السامع يتبادر الى ذهنه من أول وهله أن هذا القول، قول الكافرين وهذا باطل، فحينئذ يتعين الوقف على «قولهم» قصدا الى افادة المعنى الصحيح، والى دفع المعنى الفاسد القبيح.

صدق الذى قال: اذا كان القرآن قد نزل فى الأراضى المنورة - واذا كان قد كتب فى تركيا، فانه قرئ فى مصر.

ونقول: أن مصر أرض الايمان، انفردت دون غيرها من بلاد العرب وبلاد الاسلام، أو البلاد الاسلامية بقراء القرآن الفنانين المشهورين.. بما جعلها نبعا فياضا فى التلاوة.. ومما جعلها تخرج نجوم قراء القرآن الكريم الكبار، الذين يهزون نفوس الملايين بألحان السماء.. بتلاوة القرآن الكريم وتجويده.. ويحيون الليالى.. وخاصة ليالى الشهر الكريم، الذى هو ايضا تفردت مصر بالاحتفال به دون غيرها من بلاد العروبة والاسلام، وله فيها طعم خاص، وخاصة لياليه.. التى يجرى احياؤها بقراءة القرآن، بل وختمه بالانشاد الدينى، والذكر.. وغيره من مظاهر الاحتفالات.

ولقد يسأل سائل.. ماهو تفسير ذلك؟

ونحن هنا نستطيع ان نجيب دون تحرز أو حذر.

أن مصر تقريبا هى البلد المسلم الوحيد الذى يحتفل بالموت. حين يموت أحد، يجرى احياء الليلة الأولى بقراءة القرآن الكريم. فالقادر يأتى بقارىء مشهور أو قارئين يحيون ليلة العزاء. وقد تكون أكثر من ليلة وذلك ما يحدث فى الصعيد ولا يقتصر احياء الليالى على ليلة العزاء وإنما أيضا، يجرى إحياء ليلة الأربعين، والسنوية.. أو مرور سنة على المتوفى. وهذه بالطبع يدخل فيه تراث طويل من العادات والتقاليد.. ربما يرجعها بعض الباحثين الى أيام اجدادنا الفراعنة.. الذين كانوا يعقدون الاحتفالات للموتى، فى اليوم الأول، وأول خميس، وثانى خميس.. ثم بعد مرور الأربعين يوما.. أو السبعين يوما بعد التحنيط، ثم عاما بعد عام.

كذلك أيضا من مظاهر ازدهار القراء المصريين فى عالم الاسلام.. هو أن مصر، ربما وحدها دون سائر بلاد العالم الاسلامى، التى تهتم بقراءة القرآن الكريم فى المساجد قبل صلاة الجمعة. اذ أن لكل مسجد أو جامع قارىء للسورة قبل آذان الصلاة، واصطلح على أن تكون السورة المناسبة يوم الجمعة هى سورة الكهف. وقراءة السورة قبل صلاة الجمعة يحضرها خلق كثير ويواظب على

سماعها سواء فى المسجد أو الجامع، وعبر الاذاعة، أو على شاشة التليفزيون. وهنا يجب أن نعرف أن هذا أدى الى تكليف القراء المشهورين فى الجوامع والمساجد الكبرى لقراءة السورة.. بل تعيينهم فيها..

فقارئ السورة فى مسجد الامام الحسين رضي الله عنه هو القارئ الشيخ محمود خليل الحصرى.

وقارئ السورة فى مسجد الامام الشافعى رضي الله عنه هو القارئ الشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

وقارئ السورة فى الجامع الأزهر، كان الى وقت قصير، الشيخ مصطفى اسماعيل رحمه الله، ثم خلفه في قراءة السورة بعد وفاته الشيخ محمد محمود الطبلاوى.

وقارئ السورة فى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها كان الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى رحمه الله، وقبله كان الشيخ أحمد ندا.. ثم صار قارئ السورة فى السيدة زينب رضى الله عنها هو القارئ الشيخ ابراهيم الشعشاعى ابن الشيخ الشعشاعى..

وقارئ السورة فى مسجد عمر مكرم هو القارئ الشيخ أبو العينين شعيشع

وقارئ السورة فى السيدة نفيسة هو الشيخ محمود على البنا.

وقارئ السورة فى السيدة سكينة هو الشيخ محمود عبدالحكم

وهكذا.. وهكذا..

وهذا كله.. من أسباب تفرد مصر بقراء القرآن الكريم وشهرتهم وصيتهم.

كذلك فان مصر.. وربما منذ عصر الفاطميين، بدأ يظهر فيها أسماء مشهورة بقراءة القرآن الكريم فالفاطميون هم الذين بنوا الجامع الأزهر الشريف. والأزهر - بالطبع - لا ثانى له فى العالم. هو كعبة المسلمين العلمية.. والأزهر له تأثير واضح على مسلمى العالم كله سواء بمبعوثيه الى بلاد عالم الاسلام، او بدارسيه من كل بلاد العالم الاسلامى.. والأزهر قد اهتم ضمن ما اهتم به بعلوم القراءات، والآداء، ومخارج الالفاظ، والوقوف والابتداء، والتغنى.. و.. و...

وكذلك فان امتلاء مصر بالقراء النجوم يعود أيضا الى النطق العربى السليم للقراء المصريين..

فإن قراءة القرآن فى الحفلات الخاصة والعامة قد ازدهرت.. وخاصة فى العصر العثمانى. فهؤلاء العثمانيون حقا، قد اهتموا بالمساجد وعمروها.. وانصب اهتمامهم أكثر على المساجد المبنية أصلا على مشاهد آل بيت النبى ﷺ المدفونين بمصر. مثل الإمام الحسين، والسيدة زينب، والسيدة فاطمة النبوية، والسيدة رقية، والسيدة نفيسة، والسيدة سكينة، والسيدة عائشة.. وكذلك المساجد الجامعة مثل جامع عمرو بن العاص.. وغيرها من الجوامع والمساجد التاريخية.

بل إن الوالى.. كان كثيرا مايحرص على أداء صلاة الجمعة فى أحد المساجد المشهورة، وهذه السنة قد سار عليها الملوك من سلالة أسرة محمد على.. وكان يقرأ السورة بالطبع قبل الصلاة قارىء مشهور له «صيت» ويعرف أصول القراءة الشرعية.

بل أن هؤلاء الأمراء والملوك.. كثيرا ماوقفوا الأوقاف على المساجد والجوامع، وأكثر من ذلك كله، فإن من يبحث فى حجج وأوقاف المسلمين.. يجد أن الغالبية العظمى قد أوقفت أوقافا على تلاوة القرآن الكريم فى المساجد.. وهذا بالطبع قد أدى إلى ازدهار تلاوة القرآن الكريم وإلى نبوغ الكثيرين فى هذا المجال.

وقد سار على نهج الولاة والخديويين والملوك.. الناس من طبقة الباشوات، حتى أنهم فى رمضان كانوا يتبارون فى استقطاب أعلام القراء، ليقرأوا فى قصورهم ويحيون فيها ليالى رمضان.. وعندنا مثل واضح فى ذلك، فالشيخ محمد رفعت مثلا - رحمه الله - ظل يقرأ فى المسجد الملحق بقصر فاضل باشا، يحيى فيه ليالى رمضان، مدة أحد عشر عاما متصلة.. إلى أن مرض «بالظغطة».. ولقى وجه ربه.

وحتى الناس من الطبقة الوسطى.. كانوا يرتبون «رواتب» لقراء القرآن - غير المشهورين بالطبع - ويجرون عليهم الأرزاق.. وبالطبع فان هذا أدى - ضمن عوامل كثيرة - الى أن ينبغ الكثير منهم.

أضف الى ذلك.. أنه فى الأزهر، كانوا يدرسون «المقامات» الموسيقية.. وكان شيخ عالم وقور ـ فى وقت من الأوقات ـ هو الشيخ إبراهيم المغربى أستاذا للمقامات الموسيقية فى الأزهر، وقد أقبل على هذا الفرع من العلوم كل من القراء الذين واتتهم الشهرة.. أو حتى أولئك الذين لم تواتهم الشهرة كذلك..

بل انه ـ وكما قال لى المرحوم الأستاذ إبراهيم زكى خورشيد مستشار دار المعارف والدارس والغاوى للنغمات والمقامات الموسيقية ـ كان زمان فيما سمع، يتبارى المنشدون والمقرئون والمغنون فى «التسابيح» قبل صلاة الفجر. فمثلا كان عبده الحامولى «يقول التسابيح ويشدو بها على مئذنة مسجد الإمام الحسين.. فى حين كان الشيخ أحمد ندا يشدو بالتسابيح والنغمات الالهية من فوق مئذنة مسجد السيدة زينب.. وكانوا يتبارون فى المقامات الموسيقية.. مثل مقام «العشاق» الصعب، أو مقام «الحجاز».. وكان المستمعون يتجمعون بالالاف المؤلفة يستمعون الاثنين فى هدوء وصمت واشتياق لدرجة أنك حين كنت ترمى الإبرة «ترن».

وما كان يحدث فى التسابيح.. كان يحدث أيضا فى قراءة القرآن الكريم.. فالقراءة بلا شك لها أصول، والقارىء الجيد المشهور، الذى يستقطب العشاق بالملايين فى مصر وفى كل بلاد العالم الاسلامى هو الذى أيضا يدرس أصول القراءات على ما جاء به الشرع وعلى ما أرساه علماء القراءات.

ويقولون أن القارىء صاحب الصوت الجميل الحسن والذى يقرأ فى اطار هذه الحدود المرعية.. كان يبدأ القراءة بنغمة «البياتى»، ثم «الصبا».. وبعد ذلك يدخل فى مقام «الحجاز»، ثم يدخل على مقام «النهاوند»، ثم مقام «الرست»، وبعدها «السيكا» ثم مقام «الرمل»، و «الجاركاه».. وهذه هى أصول التلاوة المجودة كما يقول كل من الشيخ أبو العينين شعيشع، والشيخ عبدالباسط عبدالصمد. وهذان الشيخان يتفقان على أن المرحوم الشيخ مصطفى اسماعيل كان مبرزا فى هذا المجال، وكانت أحبال صوته تتفتح وتزدهر.. أمام السامعين. حتى انه كان يمكن أن يقرأ بالساعات تلو الساعات.. وقبله بالطبع الشيخ محمد رفعت رحمه الله.

على أنه توجد ملاحظة هنا لابد من ذكرها. والتركيز عليها..!

إنه ليس كل القراء يقرأون على حسب الأصول المتواترة، أو أصول القراءات الشرعية، فبعض القراء، وهم قلة لا داعى لذكر أسمائهم - ينحرفون عن الصواب فى تلاوة القرآن الكريم.. اذ أن بعضهم لا يتبع التسلسل فى المقامات، وبعضهم يقرأ ما يوافق هواهم دون مراعاته للترتيب.. وهم بذلك يقطعون ما وصل الله. وبعضهم يعمدون الى اعادة الآية وتكرارها بروايات مختلفة وقراءات متنوعة فى المجلس الواحد أو الحفل الواحد.. وذلك كله بالطبع بدعة مستحدثة لم تأت من السلف الصالح.

فى كتاب الشيخ محمود خليل الحصرى «مع القرآن الكريم» يقول: «مما يؤسف له، أن قراء القرآن الكريم فى هذا العصر - الا النذر اليسير - قد ابتدعوا فى قراءتهم بدعة سيئة.. ينكرها الدين ويأباها الشرع.. هى أن القارىء يخالف الترتيب الذى أنزل الله القرآن عليه، لذلك يبدأ قراءته بسورة معينة أو جزء مخصوص من القرآن الكريم، ولكنه لا يصل الآيات بعضها ببعض، بل ينتقى آيات معينة على مزاجه الخاص، ويعمد إلى الاقتصار على آيات الوعد والبشارة مثلا، دون آيات الوعيد والنذارة..

«وهذه الطريقة تذهب بناحية مهمة من نواحى اعجاز القرآن الكريم، وهى إحكام نسجه، وتناسق نظمه، وتعانق جمله وكلمه، والعلاقة الكاملة بين سوره وآياته.

«إن هذا الترتيب هو ترتيب توقيفى عن الله جل جلاله، لحكمة بالغة وأسرار جمة.. وليس هناك ما يبرر للقارىء أن يعدل عن هذا الترتيب، ويتغاضى عما عليه من حكم وأسرار»..

كذلك، فإن القليل من القراء.. أحيانا لا يحالفه التوفيق فى الوقف والابتداء.. حيث لا يقف عند المواضع التى يحسن عندها الوقف.. وحيث لا يبدأ بالكلمات التى يتعين البدء بها..

ولذلك فقد بلغ من عناية العلماء بمعرفة الوقف والابتداء أن بعض الأئمة كان لا يجيز أحدا بالقراءة أو الاقراء ـ التعلم ـ الا اذا عرف مواطن الوقف ومواضع الابتداء.

فقد قال أبو حاتم: «من لم يعرف الوقف لم يعرف القرآن».

وقال ابن الانبارى: «من تمام معرفة القرآن، معرفة الوقف والابتداء»..

وقال النووى: «الوقف فى الصدر الاول من الصحابة والتابعين وسائر العلماء مرغوب فيه من مشايخ القراءة».

وقال الامام الهذلى: «الوقف حلية التلاوة، وزينة القارىء، وبلاغ التالى، وفهم المستمع، وفخر العالم، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتنافيين، والحكمين المتغايرين».

وقد صح عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أنه قال: لقد عشنا برهة من الدهر وأن أحدنا ليؤثر الايمان قبل القرآن، وتنزل السورة على النبى ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزجرها، وما ينبغى أن يوقف عنده فيها».

المهم أننا ذكرنا ذلك للقارىء.. وللمستمع فى الوقت نفسه.. فكما أن معرفة الوقف والابتداء لهما جليل الاثر فى حسن التلاوة، وجودة القراءة.. فان السامع أيضا كثيرا ما يكون الوقف تنبيه له، ولفت نظره الى معنى الآية وإدراك مغزاها.

والوقف والابتداء ألفت فيه الكتب الكثيرة، لمن يريد أن يقرأها.. ومن هذه الكتب: «المكتفى» لابن سعيد الدالى، و«المرشد» لابن سعيد النعمانى و «المقصد» لزكريا الأنصارى، و«منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء» للشيخ أحمد بن عبدالكريم الاشمونى. وهذا الاخير من العلماء الكبار فى هذا المجال..



وقبل أن نعرض أسرار مشاهير القراء وحياتهم وسيرهم وميزات كل منهم. هناك قضية مهمة تخص القارىء والسامع معا.. وهى قضية ملحة فى هذه الأيام بالذات فى شهر رمضان المبارك.. ونقصد بها الآداب التى ينبغى أن يتحلى بها القارىء والسامع..

يقول عبدالله بن مسعود أشهر قارىء للقرآن الكريم فى عصر الرسول ﷺ: ينبغى لقارىء القرآن أن يعرف بليله اذا الناس نائمون، وبنهاره اذا الناس مفطرون، وببكائه اذا الناس يضحكون، وبصمته اذا الناس يخوضون، وبخشوعه اذا الناس يختالون، وبحزنه اذا الناس يفرحون..

وهذا يعنى أن قارىء القرآن هو بالضبط كعالم الدين التقى الورع، الذى يجب أن يكون لله تعالى ذاكرا، ولنعمه شاكرا، وعليه متوكلا، وبه مستعينا، واليه راغبا، وبه معتصما.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: لا ينبغى لحامل القرآن ان يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ولا يلغو مع من يلغو، ولكن يعفو ويصفح تعظيما لحق القرآن، لان فى جوفه كلام الله تعالى.

وعن الحسن البصرى قال: أن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينقلونها بالنهار.

أيضا فان قارىء القرآن يجب أن يكون على طهارة من الحدثين الاصغر والاكبر، وأن يتطيب ويتجمل بالثياب.. لأنه مناج ربه بكلامه جل شأنه.. وكان أشهر قارىء للقرآن فى عصر النبى ﷺ، عبدالله بن مسعود، يلبس الثياب الحسنة النظيفة ويدهن بالطيب اذا قام الى الصلاة أو قراءة القرآن. وقارىء القرآن لابد أن ينظف فاه بالسواك تكريما للتلاوة، وأن تكون القراءة فى مكان نظيف مختار. وأن يستقبل القبلة فى القراءة، وإذا شرع فى القراءة يستعيذ بالله، ويقرأ بتفكر وتدبر.. ويستحب البكاء عند التلاوة.

والواقع أنه يستحب البكاء عند تلاوة القرآن. وهى صفة العارفين، وشعار

عباد الله الصالحين. فقد قال الرسول ﷺ: «اقرءوا القرآن وابكوا، فان لم تبكوا فتباكوا» - اخرجه ابن ماجه.

وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا رقيق القلب، اذا قرأ القرآن، لا يملك عينيه من البكاء. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى بالجماعة الصبح، فقرأ سورة «يوسف»، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته وسمعوا بكاءه من وراء الصفوف. ومرة قرأ عبد الله بن عمر «ويل للمطففين» فلما أتى على قوله «يوم يقوم الناس لرب العالمين».. بكى حتى انقطع من قراءة ما بعدها.

وقيل أن النبى ﷺ مر بشاب يقرأ الآية: «فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان».. فوقف الرسول واقشعر وخنقته العبرة، ثم أخذ الشاب يبكى ويقول: «ويحى من يوم تنشق فيه السماء». فقال له الرسول ﷺ: «والذى نفسى بيده، لقد بكت السماء لبكائك».

وعلى ذكر البكاء فقد قال لى الشيخ أبو العينين شعيشع وهو من رافق الشيخ محمد رفعت حتى وفاته. أن هذا الشيخ صاحب الصوت الذى يتكون من عروق الجواهر النفيسة. كان اذا قرأ القرآن «تسح» عيناه بالدموع من خشية الله. وقال الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، انه سمع من يحكون عن الشيخ رفعت انه كان مفرط الحساسية دائم البكاء فى قراءاته.



آداب مطلوبة من السامع

هذه بعض الآداب المطلوبة فى قارىء القرآن..

فما هى الآداب المطلوبة من السامع لكلام الله؟

ان مجلس القرآن هو مجلس تبتل وطاعة. وهو أيضا موطن تنزل الرحمات الالهية، ومهبط الملائكة وملتقى عباد الله الصالحين.. ولذلك فان اللغو، وسيىء الحديث.. بل الحديث أصلا ينفر الملائكة من حضوره، فالمستمع المؤمن الحق هو الذى يعرف لمجلس القرآن حقه.

ولابد من الإصغاء الكامل والانصات الحق.. لتتنزل الرحمات التى وعد بها الله عباده المنصتين «واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون»، ولا فرق بين مجلس يقرأ فيه قارىء.. أو يقرأ فيه القرآن من خلال الاذاعة والتليفزيون: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم».

والقارئ الحق يبكى.. والمستمع الحق يبكى أيضا، ويخشع، ويتأمل ما فى آيات الله البينات: «وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول، ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق». وقال الرسول ﷺ: «عينان لن تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله». وقال كذلك: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم» - اخرجه الترمذى. وقال: «حرمت على النار عين دمعت من خشية الله، وحرمت على النار عين سهرت فى سبيل الله، وحرمت على النار عين غضت محارم الله» - أخرجه النسائى.

إن الكثير من السامعين الآن، يدخنون السجائر فى مجالس القرآن، ويلغون مع بعضهم البعض دون ورع.. وكأنهم يجلسون فى مقهى أو فى غرفهم الخاصة، وهذا حرام..

قال لى الشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

عندنا فى الصعيد.. مهما كان مجلس القرآن، حتى ولو حضره عشرة آلاف

أو أكثر.. حين يبدأ القارىء فى التلاوة الكل يصمت ويتدبر، ويطفىء السجاير ولا يخرج بحال من الأحوال عن آداب الاستماع.

ان مجالس القرآن تحضرها الملائكة ولابد أن تكون فيها رائحة طيبة، وليست خبيثة. لكن فى كثير من مجالس القرآن، خاصة فى العواصم، الناس تدردش ولا تستمع وتدخن.. وهذا يجعل من القارىء الفنان يزهد فى القراءة.. بل يتوقف عن القراءة. وهذا حدث لى مرة. انفجرت فى الناس فسكتت الناس واعتذرت.

والشىء الجدير بالملاحظة هنا.. أن من يجرى احصاء بين نجوم قراءة القرآن الكريم.. يجد ان اغلبية هؤلاء النجوم من وجه بحرى. فعلى مدى القرن الماضى تقريبا لم يبرز من نجوم القراء فى الصعيد سوى عدد محدود ممكن أن تعده على أصابع اليد الواحدة فقط.

فنجوم قراءة القرآن الكريم من الصعيد على مدى نصف القرن الماضى الشيخ عبده عبدالراضى، والشيخ محمد صديق المنشاوى. ووالده الشيخ صديق.. وقبلهما كان قارىء مشهور فى الصعيد كله وهو أستاذ للشيخ عبدالباسط عبدالصمد. اسمه الشيخ محمود حسنين الكلحى.. ثم احدث نجوم الصعيد بالطبع.. وهو الشيخ عبدالباسط عبدالصمد.. وقبله الشيخ طه الفشنى، ومع الشيخ طه الفشنى الشيخ محمود عبدالحكم.. وان كان قد هاجر من الصعيد - قنا - فى بداياته الى طنطا.. ومن طنطا الى القاهرة.

أما نجوم قراءة القرآن من القاهرة ووجه بحرى فحدث ولاحرج من أول الشيخ أحمد ندا والشيخ محمد رفعت.. الى الشيخ ابوالعينين شعيشع والشيخ محمود خليل الحصرى والشيخ مصطفى اسماعيل وكلهم من بحرى - طنطا وماحولها.. بالاضافة الى الشيخ منصور الشامى الدمنهورى، والشيخ كامل يوسف البهتيمى.. وغيرهم وغيرهم، هؤلاء جميعا اشتهروا فى أقاليمهم وقراهم ومديرياتهم «المحافظات الآن».. ثم جاءوا الى القاهرة لتتأكد شهرتهم ونجوميتهم.

مدرسة الشيخ أحمد ندا مثلا، والتى منها الشيخ رفعت والشيخ أبوالعينين شعيشع.. ثم الشيخ مصطفى اسماعيل فيما بعد.

ومدرسة الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى.. وكانت لها ميزاتها.

ثم مدرسة الشيخ على محمود، وهى التى تربى فيها كثيرون، ومنهم الشيخ زكريا أحمد، والشيخ طه الفشنى والشيخ القشلان والشيخ محمد عامر والشيخ ابراهيم الفران، والشيخ محمود عبدالحكم فيما بعد.

ثم مدرسة الصعيد.. والتى تخرج منها الشيخ محمد صديق المنشاوى، والشيخ عبدالباسط عبدالصمد، وهؤلاء تلاميذ.. ايضا صار لبعضهم مدارس.. فمدرسة الشيخ مصطفى اسماعيل لها تلاميذ كثيرون، ومنهم الشيخ راغب غلوش.

ومدرسة الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى.. تخرج منها ابنه ابراهيم الشعشاعى.

وصار للشيخ عبدالباسط عبدالصمد مدرسة يقلده فيها تلاميذ كثيرون.. وهكذا.

وهناك نجوم كثيرون أدوا التلاوة والتواشيح والتسابيح، ولكنهم كانوا فى التواشيح انصع من التلاوة، مثل الشيخ على محمود، والشيخ طه الفشنى، والشيخ على محمود هو أستاذ الشيخ سيد درويش، والشيخ زكريا احمد.. كما ان الموسيقار محمد عبدالوهاب تتلمذ على يد الشيخ على محمود، حتى لقد قال مرة: لقد استفدت من الشيخ على محمود كثيرا، لأنه كان عالما بقواعد الموسيقى ولم تخطئ أذنه أبدا».

ويقال انه عاصر الشيخ على محمود كثيرون، مثل الشيخ الفيشاوى، والشيخ القهاوى والشيخ سلامة، والشيخ منصور بدار. وهذا الشيخ الاخير قرأ فى مآتم الملك فؤاد عام ١٩٣٦.



الشيخ أحمد ندا

غليوم القراء

عمدة القراء فى مصر فى القرن العشرين - بلا منازع - هو الشيخ أحمد ندا.

يرحمه الله.. هو كما يصفونه كان زعيم قراء مصر. وكانوا يسمونه «غليوم الفقهاء».. وتلامذته هم أعظم القراء من النجوم الذين نسمعهم الذين خلفوه والذين تربوا على مائدته الثرية فى الفن والتجويد والتواشيح.

وكما يقول لى أحد الذين سمعوه وعرفوه: «انه كان «معلما» فى الوقفات والصنعة. كان يستطيع ان يقلب «المآتم» الى أفراح.. وكانت الناس من فرط سعادتها ترمى «طرابيشها» على الأرض اعجابا بفنه.

وأغلب نجوم قراءة القرآن القدامى، الذين مازالوا احياء - أمد الله فى عمرهم - حينما يأتى ذكر الشيخ أحمد ندا، يفتحون افواههم دهشا ويترحمون عليه ويثنون على موهبته.. لكنك حين تسألهم عنه وعن حياته وهل سمعوه.. تأتى الاجابات مخيبة للآمال.

حتى فى الدوريات القديمة التى عاصرت الشيخ أحمد ندا، فإن المعلومات عنه لاتكفى.. بل ان احفاده لايعرفون عنه الا القليل. وسبب ذلك ان نجمه سطع فى عصر لم يكن فيه اذاعة ولا تليفزيون.. وقالت لى حفيدته.. المغنية ثناء ندا شقيقة المغنية شريفة فاضل صاحبة «كازينو الليل» فى شارع الهرم والزوجة السابقة للفنان المرحوم السيد بدير، انه قبل ان يلاقى وجه ربه حاول البعض معه ان يسجل القرآن بصوته على اسطوانات. فرفض وقال انا لاأسجل على اسطوانة ممكن احدهم ان يرميها.. واعتقد ان تسجيل القرآن الكريم على اسطوانات هو الحرام بعينه. وهذا حدث لقراء كثيرين ومنهم الشيخ محمد رفعت والشيخ عبدالفتاح الشعشاعى.. لكن حتى صدرت فتوى بجواز تسجيل الاصوات وان تذهب الى الناس عبر الميكروفون.. وهى فتوى صدرت فى الثلاثينات وافق على التسجيل.

والشيخ أحمد ندا.. مات قبل انشاء الاذاعة.. ولو كان أحمد ندا لحق الاذاعة لتغير وجه قراءة القرآن فى مصر، ونجوم القراءة ايضا.

لقد اشرق الشيخ احمد ندا صوته مع اشراقة القرن العشرين. لمع نجمه واشتهر صيته - كما يرجح - بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وكان هذا من سبب تسميته بغليوم القراء. كما لمع ايضا بعدما استقرت فى مصر ثورة ١٩١٩ المصرية.

ونجم قراء القرآن فى مصر الشيخ أحمد ندا. وصل بفنه الى القمة وتهافتت الجماهير عليه والكتاب والأدباء، ومنهم الشيخ عبدالعزيز البشرى.. وكما قيل، لقد وصل اجره عن الليلة الى عشرة جنيهات، ثم خمسين جنيها. وكان لايقبل الاجر الا بالجنيهات الذهبية. وقيل كذلك انه فى الوقت الذى كان يأخذ فيه تلميذه الاول الشيخ محمد رفعت جنيهين فى الليلة.. وكان الشيخ احمد ندا يأخذ عشرة جنيهات ثم خمسة وعشرين جنيها ذهبيا.. وضعف هذا المبلغ اذا قرأ خارج القاهرة.

ولقد أجمع قراء القرآن من النجوم أن الشيخ ندا كان صوتا لايوصف. كان قويا ورقيقا فى الوقت نفسه. كان صوتا حلوا، ومع حلاوته.. كان يقرأ قراءة خبير بالقواعد والأصول.. المتواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم.

ومع هذا كله، كان الشيخ احمد ندا من أهل الله حقا، ففتح الله عليه.. كان يحمل القرآن كما ينبغى.. فأحبه الناس: ومحبة الناس من محبة الله. وأنه قد صدق فيه الحديث الشريف، عن أنس بن مالك رضى الله عنه: «ان لله أهلين». قيل: «من هم يارسول الله»؟. قال: «أهل القرآن، أهل الله وخاصته».

هذا القارئ الرائد هو استاذ الترتيل نشأ وتتلمذ عليه اقطاب التلاوة والقراءة ومنهم الشيخ على محمود والشيخ رفعت ومات منذ ٦٠ عاما او يزيد وأسرته منذ موته تطالب باطلاق اسمه على شارع فى حى من أحياء السيدة زينب تكريما له خاصة انه لم يترك، تسجيلات تخلد اسمه باستثناء بعض التسجيلات اسطوانية من طراز قديم صعب سماعها.

ولاشك أن الشيخ ندا لم يكن هو القارىء الوحيد فى عصره، لكنه كان نجم القراء بلا منازع، ولابد أن يكون قد برز كثير من نجوم القراءة قبله. لكن كان هو فى زمانه وحيد عصره، وأوانه.

وقبل الشيخ ندا جاء على القراء حين من الدهر كان ينظر اليهم على أنهم «فقهاء مقابر»، ومحفظى قرآن فى الكتاتيب والبيوت.. ولكن يظل الشيخ ندا بالنسبة للقرن العشرين.. هو أول واشهر قارىء للقرآن، ارسى مكانة القراء فى الأجر وفى الشهرة.. وقد جاء بعده مباشرة أو عاصره هو الشيخ منصور بدار، الذى أكد وأرسخ مافعله الشيخ أحمد ندا.. لكن حظ الشيخ منصور بدار كان سيئا.. وكان مع الاذاعة اكثر سوءا..

كان الشيخ ندا - رحمه الله - يستطيع ان يسمع ٢٠ الفا من السامعين بدون ميكروفون. حتى ليقال انه كان حين يقرأ فى مسجد السيدة زينب.. يسمع صوته من هم فى ميدان السيدة.. بل البعض يزيد من ذلك ويقول أن أهل باب الخلق ودرب الجماميز كانوا يسمعونه.

لقد كان الشيخ أحمد ندا يتمتع بصوت مثل الجواهر النادرة، التى تضىء وتلمع وتخطف القلوب والابصار بذكر الله.. ولقد ظهر فى عصره قراء كثيرون.. ومجيدون مثل الشيخ البربرى، والشيخ المناخلى، والشيخ عبدالشافى، والشيخ السيسى، والشيخ هريدى الشوربجى. لكن هؤلاء جميعا كانوا نجوما صغيرة فى شمس الشيخ أحمد ندا.. وهؤلاء وان لحقوا عصر بداية الاذاعة فإن اغلبهم لم يتعامل معها.. والذين تعاملوا معها لم يشتهروا على أية حال.. وهذا مما يؤسف له.

بل ان البعض يرى انه فى أواخر عصر الشيخ أحمد ندا كانت فى مصر قارئات للقرآن الكريم مشهورات، وكانت اشهرن السيدة الشيخة اسمهان. كانت هذه السيدة تقرأ فى سوامر حاشدة بالرجال مع الشيخ ندا والشيخ حسن الصواب.. وكان صوتها جميلا نقيا جيدا يعرف الاصول والقواعد.. لكن نظرا لظروف المجتمع فى العشرينات والثلاثينات فإن هذه السيدة انتهت بعد موتها.

رغم انه وبشهادة الشيخ محمد رفعت كان صوتها نادرا، ولم يأت بعدها صوت مثله.

وبعد الشيخة اسمهان ظلت الكثيرات من قارئات القرآن الكريم، ولكن بلا نجومية.. لان صوت المرأة «عورة».. وهذه تحتاج الى مناقشة!!..

الشيخ : الشعشاعى وثورة سنة ١٩١٩

ونأتى الى الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى.. الذى هو من جيل الرواد بحق، وصاحب طريقة تختص به وحده.. ومدرسة برز فيها ابنه ابراهيم الشعشاعى الذى قرأ السورة خلفا لوالده فى مسجد السيدة زينب كل جمعة حتى توفى.

والشيخ الشعشاعى من المقرئين الذين عاشوا ثمانين عاما.. فقد توفاه الله فى ١١ نوفمبر ١٩٦٢.. وقرأ بالإذاعة منذ عام ١٩٣٦.. وظل بها طوال ٢٦ عاما فى مقدمة المقرئين المجيدين لتلاوة القرآن الكريم.. وكان رئيسا لرابطة القراء، ومقرئا للسيدة زينب.

والشيخ الشعشاعى من مواليد القرن الماضى.. فقد ولد سنة ١٨٩١.. وعاش حياة حافلة فى رحاب والده الذى كان هو مقرئا للقرآن الكريم، أيام الخديو اسماعيل، والخديو توفيق.

والشعشاعى، من مواليد شعشاع فى مديرية المنوفية.. تعلم التجويد على يد والده.. ثم جاء الى القاهرة فى عام ١٩١٦ ليقرأ فى مساجدها.. وحين انشئت الإذاعة دعى للقراءة فيها مع من دعى.. لكنه رفض.. فقد اعتبر وقتها القراءة فى الميكروفون، نوعا من الاستهتار بكلام الله.. وكان هذا على أثر الجدل الذى ذاع فى الثلاثينيات.. هلى يجوز القراءة عبر الميكروفون أم لا؟.

يذكر الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى- رحمه الله- حدثا وقع معه.. انه كان يحيى ليلة المولد النبوى الشريف فى قرية من قرى كفر الشيخ.. واندلعت ثورة ١٩١٩، وتوقفت القطارات.. وتعذر عليه العودة الى القاهرة.. وقضى يومين فى ضيافة أصحاب الحفل فى كفر الشيخ، وفى اليوم الثالث قرر ان يسافر الى القاهرة.. فركب الركائب الى مدينة كفر الشيخ، ثم حمله مركب تجره الخيول من على الشاطىء الى طنطا، ثم مركب شراعى الى شبين الكوم، ووصل منتصف الليل فقضى الليل فى أحد المساجد.. ومن طنطا لم يجد سوى صاحب دراجة بخارية تحمله الى القاهرة بعد أن تقاضى صاحبها مبلغا كبيرا من المال.. وقد تحطمت الدراجة عدة مرات.

يقول الشيخ الحصرى عن الشيخ الشعشاعى: كان صوته قويا مع حلاوة، مع التمكن من ضبط الحروف وحسن الأداء.. وهذا فعلا أحسن وصف لصوت الشيخ الشعشاعى.

ويرى فيه الشيخ أبو العينين شعيشع، أنه كان من القراء الملتزمين، ويخشى الله فى تلاوته بطريقته الخاصة.. وهو يعبر عن معانى الآيات ويصورها كما أنزلت، وصوت الشيخ الشعشاعى من الأصوات العريضة القوية، التى كلما استمرت تقرأ، كلما ازدادت حلاوة.. وكان يسمع أحسن وأحسن فى أواخر الليل، حيث يصير صوته مثل «الملبن».. على حد تعبير الشيخ أبو العينين شعيشع.

والشيخ عبد الباسط عبد الصمد، رأى الشيخ الشعشاعى وسمعه، ويقول عنه: أنه رجل محافظ وصالح، لأننى حضرته وسمعته، وسهرت معه ورافقته فى بعض الحفلات.. وذهبت معه الى العراق، حيث قرأنا هناك، وكان رجلا على خلق.. وكان يعتبرنى مثل ابنه ابراهيم.. كما اننى كنت اعتبره والدا وأطيع تعليماته.. حينما يقول لى اقرأ نصف ساعة فقط وأنا سأقرأ مثلها..!

من تلاميذ الشيخ رفعت ومعاصريه.. أيضا الشيخ أبو العينين شعيشع، وهو من بيلا فى كفر الشيخ.. ترك المدرسة ليحفظ القرآن، وبدأ حياته مقلدا لأخيه الأكبر الذى كان يقرأ القرآن.. ثم سمع الشيخ رفعت، فسمع عالما آخر.. من القراءة.

والشيخ أبو العينين شعيشع، هو أول قارىء للقرآن يلبس الطربوش.. وأول قارىء سجل القرآن بصوته على اسطوانات تباع للجمهور، وأول قارىء سافر الى الخارج.. وأول قارىء مصرى ذهب الى فلسطين عام ١٩٤٠ ليقرأ فى المسجد الأقصى ولإذاعة الشرق الأدنى والقدس.

أول عتبات الشهرة للشيخ أبو العينين شعيشع كانت فى مدرسة الصنايع فى المنصورة.. كان وقتها يلبس البنطلون والبالطو والطربوش، وقد دعى لافتتاح حفل أقيم لاحياء ذكرى الشهداء.. يومها دخل الشيخ الشاب الى حوش المدرسة الذى كان مملوءا على آخره بالطلبة وأعيان الدقهلية.. دخلت الرهبة قلبه.. وصعد الى المنصة.. وبدأت الطلبة تتغامز وتضحك.. وقرأ الشيخ بداية بالآية الكريمة «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون».. فضج المكان بأصوات الاستحسان بذكر الله.. حتى أنه بعد أن انتهى من القراءة حمله الطلبة.

ومن وقتها بدأ يشتهر.. وبدأت الناس تتكلم عنه.

وأول مجىء الشيخ أبو العينين شعيشع إلى القاهرة، فى عام ١٩٣٩ دعى ليقرأ فى وفاة الشيخ الحصرى، وكان من أفاضل العلماء، دعاه زوج ابنة الشيخ.. وبعد أن قرأ حياه الشاعر عبد الله عفيفى، مؤلف السيرة النبوية، وأصر على أن يصطحبه إلى الإذاعة، ليقرأ فيها..

وقرأ أمام لجنة الاختبار ومنها الشيخ مأمون الشناوى، والشيخ المغربى، والاستاذ ابراهيم مصطفى عميد كلية دار العلوم، ومصطفى رضا عميد معهد الموسيقى العربية.. اجتاز الاختبار وكان ترتيبه الأول.. وأجيز فى الإذاعة مع نجوم القراء ونجومها وكان عمره ١٧ عاما.

وقتها قال له سعيد لطفى مدير الإذاعة: ستأخذ ١٢ جنيها فى الشهر عشان تقعد فى القاهرة: معانا، وهو مرتب خريج الجامعة.

التعرف على الشيخ رفعت

ويحكى الشيخ أبو العينين شعيشع قائلا:

– حين جئت إلى القاهرة، ظللت موزع العقل، وكانت معى أمى التى لا أطيق الابتعاد عنها.. وسكنت فى غرفة فى لوكاندة بور فؤاد فى أول شارع محمد على.. والغريب أنه كان فى الغرفة المجاورة أسمع دائما أصواتا فذهبت لأبحث عن مصدر الاصوات، فوجدت شابا فى مقتبل العمر يدرب نفسه على فن الالقاء والتمثيل، وكان هذا الشاب هو المخرج المرحوم حسن الامام.. وطلعنا بلديات، أنا من بيلا وهو من المنصورة.

ويقول الشيخ أبو العينين شعيشع عن ذكرياته مع الشيخ محمد رفعت:

– حين جئت الى القاهرة انبهرت به وذهبت اليه فى مسجد فاضل باشا.. وبعد القراءة كنت بالقرب منه، فسمعت البعض يقول له: يا عم الشيخ محمد فيه واحد جديد اسمه شعيشع بيقلدك فرد الشيخ قائلا: لا.. هو لا يقلدنى ان صوته قريب من صوتى، وعلى رأى المثل يخلق من الشبه أربعين.

هنا قمت وسلمت عليه وقبلت يده، وقلت له أنا شعيشع.

قال: أهلا حبيبى، وأخذنى بالاحضان.

وجلست أمامه كتلميذ فى محرابه.. وكأن النور متلألأ من وجهه، واتخذت منه استاذا لى مدى الحياة.. وكنت اذهب الى بيته.. وحين كانوا يقولون للشيخ رفعت عاوزينك تقرأ، كان كثيرا ما يعتذر ويرشحنى، ويقول لهم: كأنكم جبتوا الشيخ رفعت.

والواقع ان الشيخ رفعت لم يكن يفوقه قارىء للقرآن.. كان يقرأ من جميع النغمات والطبقات، وبالتدرج على الاصول المرعية، فكان دائما يبدأ بالبياتى وبعد ذلك مقام الحجاز.. وبعدها يدخل على النهاوند، ثم الرست، ثم السيكا والرمل والجاركاه.

والشيخ أبو العينين أول قارىء للقرآن مشهور يتعاون مع السينما.. والبداية

مع المخرج المرحوم أحمد كامل مرسى.. كان يخرج فيلم «النائب العام» واتصل بى، وشرح لى موضوع الفيلم.. وترك لى اختيار الآيات التى تناسب أحداث الفيلم.. وبالفعل كان لهذه الآيات تأثير على النفوس ونجح الفيلم.

وتوالى طلبى لقراءة القرآن فى الأفلام، بصوتى وليس بصورتى، وقد قرأت فى فيلم ابن عنتر» الذى قام ببطولته واخرجه المرحوم احمد سالم.. كما قرأت فى فيلم «غضب الوالدين» بطولة حسين رياض، واخراج حسن الامام.. وهو الفيلم الذى أعاد اخراجه حسن الامام تحت اسم «وبالوالدين احسانا».

كذلك فان أغلب «الأذان».. أذان الفجر فى الافلام، هو بصوت الشيخ أبوالعينين شعيشع.

ويذكر الشيخ شعيشع أنه كان أول قارىء مصرى دعى للتعاقد مع اذاعتى الشرق الأدنى والقدس عام ١٩٤٠.. وكان العقد لمدة ستة أشهر.. وكان عمره ١٨ عاما.. وفى القدس حاول خلال مدة العقد أن يعود الى مصر لاشتياقه الى والدته، لكن مدير الاذاعة شمس الدين مرساك «انجليزى مسلم» قال له: معانا عقد موقع عليه.. فاتصل الشيخ شعيشع بصديق له اسمه «بامية» الذى سحب جواز سفره من دائرة الهجرة، ورتب له السفر بالقطار من القدس الى القاهرة دون ان يعلم مدير الاذاعة.

وفى القاهرة فتح الشيخ أبو العينين شعيشع اذاعة الشرق الأدنى، فسمع المذيع فى ميعاد قراءة القرآن يقول: نحن ما زلنا فى انتظار المقرىء الكبير الشيخ أبو العينين شعيشع، وأذاع مواد أخرى.. وبعد مدة يكرر ما قاله.. ثم قال: الظاهر أن الشيخ حدث له حادث.. وأذاع مواد أخرى.

وبعد يومين فى القاهرة، كما يقول الشيخ شعيشع: وجدت المستر مرساك أمام باب شقتى، وعاتبنى.. وقال لى بحثنا عنك فى الشام فعرفنا بسفرك، وأنا الآن ضيفك، وسأمر عليك غدا لأتغدى عندك «ملوكية».. أى ملوخية.. ثم تسافر، ولن أمنعك حين تشتاق «لزيارة والدتك».

وكما استضافته اذاعة الشرق الادنى والقدس، اتصلت به الاذاعة البريطانية لتسجل له.. وفعلا سجلت له كثيرا واستمرت تذيع تلاوته من عام ١٩٤٠ الى عام ١٩٥٦.. وبالطبع فان الاذاعة البريطانية استمرت على ذلك، لأنها كانت كل عام تجرى استفتاء، وتنفذ رغبات المستمعين الذين كانوا يسمعون الشيخ من اذاعة لندن أربع مرات فى الاسبوع وقد سجل الشيخ لكل اذاعات العالم العربى، كما سجل لفرنسا، وأمريكا، والهند، والباكستان.

وأخيرا يرى الشيخ شعيشع ان القارىء المجيد لا بد ان يدرس التفسير والموسيقى.. وهذا هو سر امتياز الكثير من الاجيال الماضية.. ويطالب بأن يحصل قراء القرآن على حق الأداء.. ويقول نحن نؤدى تصوير معانى.. والقرآن انزل من لدن عزيز حكيم.. والذين يرفضون: لماذا يعطون أم كلثوم حق الأداء، وانما تؤدى مثلنا..!! وهى لم تؤلف ولم تلحن..

ومن ذكرياته ان تركيا دعاه ليفطر على الجبن والزيتون الاسود فقط ثم خرج الشيخ جائعا ليحيى حفلا ساهرا وبعد انتهاء الحفل قابله السفير صلاح أبوجبل فى المسجد ثم اصطحبه الى المنزل ليتناول الافطار الاخر بكل الالوان.

ولا ينسى الاستقبالات الضخمة والزحام فى الشوارع والطرقات والمساجد تكريماً للقرآن والحفاوة.

ومن ذكرياته انه سهر فى عزبة ابو بدوى أول شهر رمضان مقابل ١٥٠ قرشا وكانت ثروة بعد ان كان يقرأ هاوياً فى قريته لقاء خمسة قروش.

دعى لتلاوة القرآن فى العراق ووجهت دعوة من نزلاء سجن بغداد لقراءة القرآن وكان يرفقه وزير الداخلية فى عهد نورى السعيد وكان الشيخ يقرأ القرآن فى مأتم ملكة العراق وكانت النية مبيتة على ألا يقرأ لنزلاء السجن فهدد بالعودة لما علم باضراب المساجين عن الطعام ولكن بعض شيوخ العراق تدخلوا واصطحبوه لتلبية دعوة نزلاء سجن بغداد الذين سعدوا بالقرآن الكريم وبالشيخ شعيشع وأهدوه سجادة صلاة قيمة نادرة مرسوم عليها خريطة العالم العربى بالصدف البديع الصنع كما تبادلوا مع الشيخ شعيشع الرسائل واعلنوا التوبة.

أصول التلاوة

سر امتياز نجوم قراءة القرآن الكريم القدامى، أنهم لم يكونوا «قراء» حيثما اتفق.. بل انهم كانوا على علم باصول التلاوة، ودراسة للمقامات الموسيقية.. وايضا- وقبل كل شئ - كانوا دارسين او ملمين بتفسيرات القرآن الكريم.. انهم - باختصار - كانوا يفهمون مايقرأون.

ولذلك فانه لا أحد يشك مثلا ان الشيخ محمود عبدالحكم من الجيل الدارس الفنان، وبالطريقة الصحيحة، وكذلك الشيخ طه الفشنى الذى اهتم بالتواشيح والابتهالات، وصار له مدرسة منها الشيخ سيد النقشبندى، والشيخ محمد الطوخى، وغيرهما.

والشيخ منصور الشامى الدمنهورى كان مدرسة، بحق، كان أداؤه مميزا لكن له نفس قصير.. ومع ذلك فكانت قراءته سلسة ومحببة الى النفس.. وهو من القراء الاتقياء لانه كان يفهم مايقول..

الشيخ عبدالعظيم زاهر

كان مميزا وصوتا نادرا وموهبة فذه امتعنا كثير ا بسماع صوته الرخيم الذى ينساب فى خضوع وخشوع وضراعة وهو احد عمالقة مدارس الترتيل واصول التلاوة مثل الشيخ محمد رفعت وعلى محمود والصيفى والشعشاعى ومصطفى اسماعيل والبهتيمى والحصرى والبنا وغيرهم من اصحاب المواهب النادرة وعبدالعظيم زاهر احد قراء الراعيل الأول من اصحاب الاداء المتميز والاصوات الفريدة فى تجويد القرآن وبراعة الاحساس والمحافظة على اصول القراءات دون ان يتلاعب بالالفاظ القرآنية وكان حسن الاداء وهو فى الواقع جمع بين حسن الصوت وحسن الاداء.

وهو من مواليد قرية مجول بالقليوبية عام ١٨٩٤ حفظ القرآن فى الكتاب وظهر نبوغه المبكر مما دفع والده الى السفر الى القاهرة وهناك الحقه والده بساحة الازهر الشريف فتتلمذ على الشيخ خليل الجناينى واهتم بتعليمه القراءات وجعل منه قارئاً بارزا فى نخبة القراء حتى عام ١٩٣٤

بدأت الاذاعة تهتم بموهبته ولقبه المذيع الكبير محمد فتحى بكروان الاذاعة وقال عنه سعيد باشا لطفى مدير الاذاعة وقتها من أجمل الاصوات بعد الشيخ رفعت وصاحب طريقة مستقلة وله شعبية بسبب صوته الرخيم والشيخ على محمود لما سمع عبدالعظيم زاهر استحسنه.

واختير قارئا للسورة بمسجد محمد على بالقلعة عام ١٩٤٠ وكان يقرأ بدون مكبرات صوت حتى توفى ١٩٧١ ومنح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى تكريما له عام ١٩٩١ فى ليلة القدر.

والشيخ محمود على البنا، قارئ هادئ وقوى ووقور.

وكذلك الشيخ محمد الصيفى الذى كان علامة وفنانا ومتمكنا.. وأن كان ينقصه جمال الصوت كما يقولون.

والشيخ عبدالعظيم زاهر الذى ينتمى للجيل الماضى.. كان له طريقة خاصة وكان لامعا.. ويقال ان عبدالباسط عبدالصمد، ربما يكون امتدادا له.

ولكن عبدالباسط فى حديثه معى رفض مايقال.

ومن الجيل الماضى أيضا الشيخ محمد صديق المنشاوى رحمه الله، وهو قارئ محافظ على التلاوة الصحيحة السليمة كما أنه من الأصوات العريضة.. وعن جيله الصعيدى الشيخ عبده عبدالراضى، وله طريقة مميزة وصوت قوى.. ولكن حظه كان سيئا.

الشيخ نصر الدين طوبار

صوته عذب يقرأ كل جمعة فى مسجد الخازندارة بشبرا والصوت يكون اكثر عذوبة وهو يطرب حين يردد التواشيح وقد زار عددا كبيرا من دول اوروبا ونال الاعجاب.

يرى أن الحكومة لابد أن تهتم بتعليم المبعوثين للغات الحية ليسهل عليهم مهمة أداء واجبهم فى هذه البلاد لأن فى هذه البلاد يتذوقون القرآن من خلال الصوت الذى يؤديه.

الجيل الجديد

لكن.. ماذا عن الجيل الجديد؟!

هناك كثير جدا من الأسماء.. نجد أبرز مافيها الآن الشيخ ابراهيم الشعشاعى وهو كما نرى نسخة كربونية من والده رحمه الله، وان كان الشيخ محمود الحصرى يرى أنه ٧٠٪ من والده.

فالشيخ ابراهيم يحاول أن يتخلص من طريقة والده فاذا نجح كان بها، وان لم ينجح على أية حال.. فإن الوالد لايزال يعيش - وفى مسجد السيدة زينب - فى ابنه ابراهيم.. الذى كان قارئا اسطوريا يحرك جميع الجوارح، عندما كان يتسلطن فى قراءته وهو فى شبابه وقوته.

ومثل الشيخ ابراهيم الشعشاعى نجد الشيخ راغب غلوش.. وهو - كما أرى قارئا موهوبا، وان كانت طريقة الشيخ مصطفى اسماعيل التى تسيطر عليه وهذا ليس عيبا فمصطفى اسماعيل يعتبر اعظم من انجبتهم مصر بعد جيل الشيخ محمد رفعت.. وكما يرى الشيخ محمود خليل الحصرى، والشيخ راغب غلوش صوته حلو.. ولكن يمط الحروف ويرقص الممدود.. وينصحه الشيخ أبوالعينين شعيشع بالاقلال من تقليد الشيخ مصطفى اسماعيل.. والشيخ عبدالباسط يرى أن صوت الشيخ غلوش حلو.. لكنه ينصحه بالبعد عن التقليد.. ما دام الاصل موجودا.

وماذا عن الشيخ محمد محمود الطبلاوى، الذى صار الآن قارئ السورة - بعد وفاة الشيخ مصطفى اسماعيل - فى جامع الازهر؟!

الواقع ان الطبلاوى، يغلب على صوته رنة حزن، ونفسه طويل والنفس الطويل وان كان ميزة.. فان قراءة كلام الله لها قواعد وأصول خاصة الوقف والابتداء، وعدم التلاعب بالاحكام، بل وعدم ارضاء المستمعين على حساب القرآن، انه على اية حال «شيخ» له طريقة فى قراءة القرآن.. فهل هذه الطريقة ستستمر؟!

وأحدث القراء الآن هو الشيخ أحمد نعينع.. وهو طبيب فى الاسكندرية، وأجيز فى قراءة القرآن بالتليفزيون.. وهو أيضا كما يقال يقلد الشيخ مصطفى اسماعيل.. ولكنه لو استطاع أن يتخلص من التقليد مع الدراسة الوافية الكافية لأصول القراءات والتفاسير.. لصار أيضا من نجوم قراءة القرآن الكريم الواعدين.

وقبل أن نفرد قلوعنا لنجوم أربعة، هم نجوم الجيل من القراء، نحب أن نشير الى نقطة مهمة لفت نظرى اليها القارئ الشيخ عبدالباسط عبدالصمد.

فترتيب القراء الكبار النجوم فى الاذاعة هو كالآتى: الشيخ مصطفى اسماعيل، ثم الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، ثم الشيخ محمود خليل الحصرى.. والرابع هو الشيخ محمود على البنا.. وبعدهم تأتى أسماء كثيرة.

أيضا فان «المقارئ».. لاتعنى القراء.. أن «المقارئ» تتبع وزارة الأوقاف، والتى تشرف على القارئ فى المساجد اما القراء فكل قارئ حسب امكاناته ومكانته وفنه.. ولذلك فان لقب «شيخ المقارئ» لايعنى أنه «شيخ القراء».

والقراء النجوم الآن، وكما ذكروا لى لهم رابطة، وأمينها العام الشيخ أبوالعينين شعيشع، وهم يعدون ويدرسون لكى تكون لهم نقابة.. تعبر عن آمال قراء القرآن الكريم فى الجمهورية كلها وهناك مشروع قانون مطروح على مجلس الشعب للموافقة عليه.

الشيخ مصطفى اسماعيل

ولنبدأ الآن مع نجوم عصرنا المتلألئين من القراء.

والبداية مع الشيخ مصطفى اسماعيل.. عمدة القراء واحلى الاصوات بعد الشيخ محمد رفعت.

كانت أمنيته الكبرى أن يقرأ فى المسجد الاقصى قبل ان ينتهى الاجل.. وقد حقق الله أمنيته فى نوفمبر ١٩٧٧ حين ذهب مع الرئيس المؤمن محمد أنور السادات.. ليقرأ القرآن هناك.. وتجلى صوته وهو يردد كلمات الله «إنا فتحنا لك فتحا مبينا».

والشيخ مصطفى اسماعيل، من منتصف الاربعينات وحتى أواخر السبعينات - وبشهادة الشهود - كان هو الصوت الذى استطاع أن يصل ما انقطع من أصوات نجوم القراءة فى مصر.. فهو قد كان عالما بالقراءات وبمقامات الموسيقى العربية وصوته من أجمل الاصوات، وان كان أضعفها فى «القرار» مات عن ٧٣ سنة . رغم ما كان يبدو عليه من ريعان الشباب.

وهو من مواليد ميت غزال بمحافظة الغربية، التى أثمرت وأزهرت قراء نجوم كثيرين.. التحق بالمعهد الدينى فى طنطا.. وظهرت فيه ملامح قارئ عظيم وهو صبى حفظ القرآن الكريم فى الكتاب وأول من اكتشف مواهبه الشيخ عبدالرحمن ابوالعينين الاستاذ فى الكتاب. ثم درس على يد الشيخ ادريس فخرى عالم القراءات والتجويد.. ثم أتقن القراءات السبع على يد الشيخ محمد ابوحشيش، ثم التحق بالمعهد الدينى.. لكنه لم يستمر فيه فقد وهب نفسه للقرآن.

مرة بحى المغربلين، ويومها جاءت الفتوحات دعته رابطة القراء ليقرأ فى ذكرى المولد النبوى وسمعه ناظر الخاصة الملكية، واتفق معه على احياء ليالى رمضان فى القصر الملكى منذ عام ١٩٤٥.. وظل نجم مصطفى اسماعيل يتصاعد.. حتى كان أول قارئ للقرآن يمنح اول وسام عام ١٩٦٥.

من الاصوات التى كانت تهز مصطفى اسماعيل ويثنى عليها دائما هم القراء: محمد رفعت، وعبدالفتاح الشعشاعى، وعلى محمود، وطه الفشنى، ومحمود على البنا، وابراهيم الشعشاعى.. ثم صوت الشيخ عبده عبدالراضى.. والأخير وصفه بأن صوته جميل متمكن من محافظة قنا.. والشيخ عبده عبدالراضى مات قبل أن يسعد الناس فى ميكروفون الاذاعة.. انه من أجمل الاصوات التى سمعها الشيخ مصطفى.

ويرى الشيخ مصطفى اسماعيل ان القارئ الحق، هو القارئ الذى يملك الصوت الحسن، والاداء الجميل وسلامة النطق والدارس للفن. والفن بالطبع هو التجويد.. وقد درس الشيخ مصطفى اكثر من ١٥ سنة هذه الفنون: من مد وفن واصوات وموسيقى.. لان القارئ الجيد لابد أن يربط بين المعنى فى الآية وبين الموسيقى المناسبة لها.. فالآية الحزينة مثلا يناسبها مقام الصبا، والآية المبشرة المفرحة يناسبها السيكا والرست.

ويقول الشيخ مصطفى اسماعيل.. ان التجويد هنا سيظل فى مصر أرض الإيمان، ومعهد القراءات فى مصر، وأهل الفن القرآنى فى مصر.. وستظل مصر باذن الله - دائما وابدا - عمدة القراءات والتجويد.

وقبل ان يموت الشيخ مصطفى اسماعيل.. كان يرى أن القارئ الجديد الشيخ حمدى الزامل من المنصورة، هو موهبة من عندالله.. وأنه قارئ المستقبل.. لكن حتى الان لم يلمع هذا الشيخ.. لماذا لاتعرف؟!

والشيخ مصطفى اسماعيل هو بلاشك اشهر قارئ قرآن كريم فى مصر وفى بلاد عالم الاسلام، بل هو قرأ فى قارات الدنيا الخمس.. وفى شهر رمضان بالذات.. الذى اشتهر فيه أو بدأت شهرته فى هذا الشهر الكريم ايضا.

وحين قرأ الشيخ مصطفى اسماعيل فى ذكرى الاربعين للفنان المرحوم عبدالحليم حافظ، ولساعة كاملة، وكان يسمعه اهل الفن والموسيقى.. كانوا يسمعونه وكأن على رءوسهم الطير وبعد أن انتهى من التلاوة أقبلوا عليه يريدون تقبيله، وكانت السيدة رتيبة الحفنى موجودة وهى كانت عميدة المعهد العالى

للموسيقى، فقالت له وبحماس: «ما هذا الجمال ياشيخ مصطفى.. والله إنت وحدك معهد كامل للموسيقى».

وهذا بالضبط يشبه ماقاله له الشيخ محمد رفعت عندما سمعه مرة فقام وصافحه وقال له: «عظيم جدا.. أنت سيكون لك مستقبل عظيم فى قراءة القرآن.. حافظ على نفسك وصوتك».

والواقع أن الشيخ مصطفى اسماعيل كان يرى أن الصوت الجميل بلا دراسة للمقامات الموسيقية، لايمكن أن يؤثر ولذلك فقد كان أهم مايميز صوت الشيخ مصطفى هو الحلاوة مع الطرب والموسيقى. وكان مصطفى اسماعيل يجيد العزف على البيانو.. حتى يقولون انه لو لم يكن قارئا، لكان عازفا مجيدا.. انه قارئ فنان، يبدأ القراءة بترتيب النغمات.. وينتقل من نغمة الى أخرى، أو من مقام الى آخر فى سهولة ويسر، مع الاداء المتميز والصوت الجميل.

لكن البعض كان يأخذ على الشيخ مصطفى اسماعيل.. بعض الخروج حين يقرأ أمام جمهور كبير وينسى نفسه وسط الاستحسان.

والحقيقة أن الشيخ مصطفى اسماعيل.. كان عمدة القراء.. وهو الذى تربع على عرش القراءة منذ منتصف الاربعينات الى أن توفاه الله فى أواخر أيام عام ١٩٧٨.. وقد ظل صاحب مدرسة فى القراءة حتى بعد وفاته، لأنها مدرسة قامت على كفاح طويل ودراسة متأنية، وأسس وأعمدة قوية.. ثم وهذا هو المهم والاساس.. موهبة من الله لحامل القرآن.. الذى منحه الله كثيرا من نعمائه.. وكان هو دائما يتحدث بنعمة الله عليه.

وكاتب هذه السطور، اتيح له أن يلتقى بالشيخ مصطفى اسماعيل فى مصر، وفى خارج مصر بعد أن ذاع «صيته» كنجم من نجوم قراءة القرآن فى الخارج، يعادل «صيته» فى الداخل وهو على يديه قد اشهر الكثير من الناس اسلامهم.. بل انه حين كان يذهب الى بلد من بلدان عالم الاسلام يتهافت عليه المسلمون، كقطب كبير يريدون أن يقبلوا اكمامه والارض التى يسير عليها.

والشيخ مصطفى اسماعيل فى حياته الخاصة رجل ظريف وطريف، وابن نكتة كما يقولون، لايفوته شئ.. وهو أيضا كان له فيللا فى الهرم، وشقة فى الزمالك وضيعة كبيرة فى طنطا.. وكان دائما يتحدث عن «صندوق» المجوهرات الذى جمعه من الهدايا عبر السنين، والأموال التى اقتناها، رغم انه كان يصرف كثيرا، وكان يدفع رواتب لكثير من الغلابة.

وهو يموت فى الموسيقى، ويعشق المغنى القديم، ويرى أن أم كلثوم هبة من الله، كما كان أيضا يحفظ كل أدوارها القديمة.. بالضبط كما كان يحفظ أدوار عبدالوهاب القديمة.

وهو كأى فنان تتفتق مواهبه ويتجلى فنه القرآنى حينما يكون هناك «سميعة».. هنا، وهنا فقط- كما كان يقول - تتفتح أوتار حنجرته، ويكون عنده استعداد لأن يقرأ بالساعات تلو الساعات ولايتعب.

لقد ترك مصطفى اسماعيل ثروة قرآنية مسجلة فى الاذاعة والتليفزيون، ليس فى مصر فحسب، وانما تقريبا فى بلاد عالم الاسلام كله.. وهذه الثروة علينا نحن أبناء هذا الجيل أن نهتم بها، ونجعل منها مكتبة ثمينة، حتى لايتكرر ماحدث للشيخ رفعت فتلعننا الاجيال فيما بعد.

الشيخ عبدالباسط عبدالصمد

الشيخ عبدالباسط محمد عبدالصمد .. هو أول قارئ صعيدى، من كبار النجوم ينتشر مصريا وعربيا واسلاميا .. ويرى من المجد مالم يره قراء صعايدة مجيدون، مثل الشيخ صديق المنشاوى، والشيخ عبده عبدالراضى، وغيرهما من المشايخ الذى بزغ نجمهم فى الصعيد حول مقام سيد عبدالرحيم القنائى، بالضبط مثل الفئة من نجوم قراءة القرآن الكريم، التى اشتهرت حول مقام سيدى أحمد البدوى.

عبدالباسط: طفولة عاديه ولد بمدينة أرمنت بالصعيد عام ١٩٣٦ والأسرة يعولها شيخ أزهرى يلتف حوله العلماء والقراء وكان مأذونا وقاضيا لأرمنت وعضوا بمحكمة الصعيد.

تفتحت عيناه على مجالس العلم والقرآن بالصعيد ولما بلغ ٣,٥ من عمره دفع أباه الى كتاب القرية فحفظ القرآن كله وعمره عشر سنوات.

وبينما كان يحفظ القرآن كان شيخ الكتاب يقدمه إلى محبيه ليقرأ عليهم القرآن بصوت شجى ولما وصل إلى سن السابعة فكان يدعى لقراءة القرآن فى الحفلات والمآتم وكان والده يجلسه فوق مكان مرتفع حتى يراه الناس. وكان اعجاب المستمعين يزيد من شجاعته وثقته وإطمائنا بنفسه.

ومن هنا جاءت الرحلة المباركه فى القرآن الكريم فى أرمنت بالتحديد عندما عمل مساعدا لأحد المشايخ وكان يقرأ القرآن فى رمضان كل ليلة وكان يتقاضى٢٥ قرشا، وهو أول أجر تقاضيته ، ثم اعطانى صاحب الليلة جلبابا وعمامة فأحسست أننى اسعد طفل على وجه الارض.

الشيخ عبدالباسط استاذ علم القراءات السبع والعشرة فقد تعلم ذلك على يد استاذ جليل بقرية المطاعنة وعمره ١٤ سنة.

بعد أن اشتد عوده وتعلم أصول القراءات السبع وعلم التجويد اشتهر بالصعيد حتى بنى سويف سنوات يدعى لقراءة القرآن فى قرى ومراكز الصعيد ويشهد الله انه كان مشهورا جداً ومع ذلك ما طلب أجرا فوق طاقة أهل المتوفى.

وفى احدى الايام من صيف ١٩٥٠ صحبه والده الى القاهرة وتصادف مولد

السيدة وفى وسط الزحام الشديد التقى برجل من أعيان الصعيد وقد سبق أن استمع اليه فذهب الى ادارة الحفل وطلب منهم ان يدعوه للقراءة لمدة خمس او سبع دقائق وكنت متجليا فقرأت قرابة الساعتين.

ويقول: القراءة أحيانا فيها تجليات واخرى لا يحالف القارئ اى توفيق.

وقبل ان اختم تلاوتى تقدم منى رجل وقال انه مهندس بالاذاعة واشار على بضرورة التقدم للامتحان امام لجنة اذاعية. وامام اصرار المهندس تقدمت ونجحت بامتياز وكان هذا يجعلنى أتردد على القاهرة، وفى عام ١٩٥٢ عشت فى القاهرة واصبحت قريبا من الاذاعة أفتتح الحفلات الرسمية والدينية وذاع صيتى.

وأخيرا استقر الرأى وتوكلت على الله وجعلت محل اقامتى فى القاهرة.

ويضيف الشيخ عبدالباسط.. الذى مازال غاضبا على التسمية التى اطلقتها عليه احدى المجلات فى بداية شهرته، وهى عبدالباسط براندو:

- لقد امتحننى فى الاذاعة محمد البنا وكيل بوزارة الشئون الدينية، والشيخ محمد على الضباع شيخ المقارىء المصرية فى ذلك الوقت، وهو عالم من علوم الفلك والقراءات.. وآخرون.

وأحب أن أقول اننى جئت القاهرة متمكنا من القراءات السبع، ولم أكن قد درست المقامات بعد. وتعلمتها حينما زاملت مشايخنا الكبار مثل عبدالفتاح الشعشاعى ومحمد الصيفى ومصطفى اسماعيل..

وأنا فى قراءاتى أحب أن أبدا بمقام البياتى الهادىء، وأتتدرج فى الصوت من - سيكا او رست - بشرط عدم الخروج على حدود القراءات.

ويقول الشيخ عبد الباسط: الشيخ مصطفى تربع على عرش القراءة حتى مات.. وكان صديقا محبا عرفته وعرفنى وصادقته وصادقنى، وكان بيننا دائما كل محبة واحترام.

وأنا دائما أقول أن القارىء أولا لابد أن يتقى الله فى قراءة القرآن، وينسى الدنيا وما فيها. والانسان طالما قرأ من قلبه، يصل الى قلب المستمع.. فيأتى التأثير والتأثر.. وهذا بالضبط مثل الشيخ رفعت الذى يقشعر له البدن حين يتلو

لانه يؤثر.

والشيخ عبدالباسط لا يذهب لحفل عن طريق الاتصال تيلفونيا به. وهناك سبب ومبرر لذلك. فقد وقع فى مطب فى مدينة طنطا، يقول:

« كنت مازلت على عرف الصعيد .. الكلمة هى الكلمة.. اتصل بى احدهم «ترنك» وقال لى عاوزينك تقرأ فى حفل فى طنطا وأعطانى العنوان والمنزل والشقة. وذهبت بعد صلاة العصر الى طنطا. بحثت عن الشارع فوجدته، وحين سألت عن رقم المنزل قالوا هو منزل الخواجه فلان.. والشقة قالوا شقة الخواجة فلان أيضا.. وأحسست انه «مقلب».. فعدت الى مسجد سيدى احمد البدوى، وصليت المغرب وعدت الى القاهرة وقلت: «يؤجر المرء رغم انفه».. وهذا علمنى.. ان صاحب أى «ترنك» لابد أن يأتى بنفسه ليصطحبنى.

والشيخ عبدالباسط من مواليد عام ١٩٢٧، أى أن عمره الآن ٥٣ سنة، ويرى أن قارىء القرآن قد منحه الله موهبة.. فلماذا لا يكون له حق الاداء.

وهو يروى انه سافر الى بلاد الدنيا.. ووجد تسجيلات له على شرائط واسطوانات تباع هناك.. وهو يرى أن هناك أناسا تتاجر فى القراء وتكسب، فلماذا لا يكون هذا المكسب على الأقل للدولة بالعملة الصعبة.. وليس للقراء وحدهم..

كما أن للشيخ عبدالباسط حكاية مع «صوت القاهرة».. لقد تعاقدوا معه لاحتكار صوته.. ولكنه ظل متعطلا وقتا طويلا.. وفى أثناء هذه الفترة عرضت عليه عقود للتسجيل بآلاف الجنيهات.. لكنه رفضها لاحترامه العقد.

فى هذه الاثناء عرض عليه أحدهم أن يسجل له عشر ساعات، فامتنع الشيخ وقال له أنه متعاقد مع صوت القاهرة.. فقال له آنه قرآن كريم وليس فيه احتكار.. وأقنعه. وسجل له الشيخ عبدالباسط اربع ساعات فقط..

وأعلن الرجل عن تسجيله مع الشيخ عبدالباسط، فتحرك الاستاذ طه نصر، وقال له انك يا شيخ عبدالباسط تهدد الشركة ولا تحترم العقد. ورفع دعوى على الشيخ بمائة الف جنيه.. لكن القضاء حكم ضد صوت القاهرة.

ويقول الشيخ عبدالباسط.. ومنذ هذه القضية رفضت احتكار صوتى.

وحاولت معى صوت القاهرة - مرة أخرى - لتسجيل فيديو، لكنى رفضت..

والحل.. ياشيخ عبدالباسط.. والحل هو آخر نشاط للشيخ عبدالباسط، قاله لى قبل ان يذهب لاحياء ليالى رمضان وهو وصديقه وزميله الشيخ ابو العينين شعيشع الى دولة الامارات.

لقد اشترى ٢٠٠٠ متر من هيئة الاستثمار فى المنطقة الحرة.. واستلم الارض فى أوائل يوليو ليقيم عليها مشروع الاستوديو مع شريكين.. لتسجيل القرآن الكريم والتواشيح والتفاسير وكل ما يتعلق بالقرآن.. على اشرطة او «فيديو»، لكسر الاحتكارات..

اخيرا سألته عما يميزه عن زملائه من نجوم القراءة، فيقول: استطعت ان أكون اسلوبا جديدا فى تصوير معانى القرآن الكريم، ورسمها للمستمع، بحيث تؤثر فيه مباشرة فمثلا حين اقرأ آية عن عذاب النار اقرأها بنغمة معينة تصور لمن يسمعها النار بفحيحها وعذاب من فيها. وحين اقرأ من آية من نعيم الجنة يختلف المعنى.. وليوحى بالامل فترتاح اسارير من يسمعنى.. وهذه هى طريقتى الخاصة فى التلاوة التى لا اقلد فيها احدا..

وأهم اساتذتى الذين كنت اسير ٤ كيلو مترات لاسمعهم فى الراديو فى مقهى هما الشيخ مصطفى اسماعيل، والشيخ عبدالفتاح الشعشاعى، وتمنيت أن أحظى بنجاح مثلهما.

وأول بلد قرأت فيها المملكة العربية السعودية فى حفل رسمى أثناء غسل الكعبة المشرفة.

دعانى الملك سعود لحفل كبير أعده فى منى. للملك محمد الخامس، والرئيس السورى شكرى القوانلى، وطلب الملك ان اذهب معه الى المغرب لأعيش هناك وكل ما اطلبه مجاب، ورفضت الدعوة بأدب جم ووعدته بزيارة المغرب شهرين على الأقل سنويا انهالت الهدايا القيمة وكنت سعيدا جدا وكانت فاتحة خير وعدت إلى بلدى بدأت دعوات الملوك والرؤساء تصلنى من مختلف البلاد الدينية والاسلاميه والافريقية وهناك منحونى أوسمه رفيعة بعضها اعلى وسام فى البلد، فمثلا منحت، من سوريا وسام روساء والرئيس اللبنانى منحنى وسام

«الأرز» وفى المغرب «وسام الكفاءة الفكرية» وأعلى وسام من الملك محمد الخامس، وكذلك عدة اوسمه من رؤساء السنغال وماليزيا وجنوب افريقيا واندونيسيا وبلاد أخرى كثيرة.

وللشيخ عبدالباسط ذكريات لاتمحى فى المراكز الاسلامية وصلاته بالملوك والأمراء، قال: اول بلد قرأت فيه القرآن خارج مصر سافرت الى كمبالا باوغنده بدعوة من المسلمين هناك دخلت مسجدا هائلا مبنى بالجهود الذاتية جلست أقرأ كان هناك فريق تصوير واقتربت منى سيدة وقبلت يدى وانحنت تقبل القدم فمنعتها بالقوة وظننت انها مريضة، وناديت على احد الحاضرين فقال لى انها معجبة بما قرأت، وتريد أن تدخل فى الدين الاسلامى وجلست القنها الشهادة بعد أن اغتسلت وتهيأت وطلبت منى أن تحج بيت الله الحرام فاتصلت بالملك سعود وعرضت عليه، واستجاب لطلبها. فذهبت إلى مكة وكان معها ٩٥ رجلا وامرأة قالت أنهم سألونى عن الاسلام فشرح الله صدورهم.

ودعيت إلى فرنسا مرتين من غير المسلمين من رجال أعمال يديرون شركات مهمة وطلبوا منى أن افتتح حفلا يحضره اكثر من أربعة آلاف، نصفهم على الأقل من غير المسلمين وجلسوا يستمعون للقرآن وكأن على رأسهم الطير. وبعد الختام سمعت التصفيق حاد وتقدم منى رئيس تحرير صحيفة «اكسبريس» وأعد حديثا صحفيا وكتب فى اليوم التالى حيث تناقلته الصحف.

اما دعوتى إلى جنوب افريقا فكانت بدعوة عن طريق المسلمين هناك وقضيت شهرا ونصف الشهر فى جوهانسبرج واسلم كثيرون هناك وطلبوا منى اتوسط لدى الازهر بمنحهم فرصة للدراسة به وبعضهم الآن وزراء للاوقاف والشئون الاسلاميه فى بلادهم.

حكى الشيخ عبدالباسط خلال لقائه عن حفاوة الاستقبال من ملايين المسلمين المتشوقين لسماع القرآن ورؤية مبعوث مصر أرض الأزهر وهم فى حاجة إلى أمس البعثات الدينية التى تبصرهم بحقيقة الاسلام وخصوصا فى اسيا وافريقا حيث النشاط الكبير لبعثات التبشير.

ويقول انه رأى بعينى رأسه مدى تأثير القرآن على مستمعيه فى هذه البلدان

ففى جنوب افريقيا وبعد ان استمع اليه آلاف المؤمنين فى خشوع كان من أثر ترتيل القرآن ان عاد للايمان وأعلن التوبة على يديه أحد الذين كانوا قد ارتدوا عن الاسلام.

وفى أوغندا اسلم ٩٣ شخصا من بينهم مذيعة التليفزيون الاوغندى التى كانت مكلفة من قبل الحكومة الاوغندية لمرافقة مبعوث مصر الشيخ عبدالباسط اثناء الزيارة، وأعلنت اسلامها فى آخر يوم لهذه الزيارة.

كما أعجبه فى نيجيريا أنهم يقرأون القرآن فى ليلة المولد النبوى الشريف حيث يجتمع هناك حفظة القرآن ويتناوب الحفظة قراءة القرآن حيث يقرأ كل منهم ربعا حتى الانتهاء من القرآن الكريم كله عند مطلع الفجر.

وفى المغرب التى تتميز بان الغالبية تحفظ القرآن يقرأون القرآن بطريقة جماعية محببة الى النفوس وهم يقرأون حسب رواية «ورش» وهى احدى قراءات القرآن المنتشرة فى بلاد المغرب.

واغلى الذكريات التى لم ينسها الشيخ عبدالباسط انه قرأ القرآن فى المسجد الاقصى فى الليلة قبل احتلال المسجد من الصهاينة، وهو يقول فى وصفه للمشهد المهيب أن الكلمات تعجز عن وصف عظمة المشهد وجلاله وهو يقرأ القرآن فى المسجد الاقصى ووسط الآلاف المؤلفة من البشر الذين أتوا من كل صوب لسماع القرآن فى ليلة القدر المباركة.

وكان الشيخ عبدالباسط يقرأ بعد العصر مباشرة حيث أن الناس يعودون الى قراهم قبل مغيب الشمس مباشرة. وكان ثمرة ما شهده بالمسجد الاقصى اقتراحا قدمه عبدالباسط الى وزير الاعلام الاردنى فى ذلك الوقت بان تشترك إذاعات الدول العربية جميعا فى نقل الاحتفال المهيب بليلة القدر من المسجد الاقصى.

ومن ذكرياته فى الهند أنه فى احدى الحفلات الدينية التى اقامها مسلم ثرى باحدى الولايات القريبة من حدود الصين، وما كاد يقرأ القرآن حتى وقف الحاضرون وخلعوا أحذيتهم انخرطوا فى بكاء شديد وظلوا واقفين حتى انتهاء قراءة القرآن الكريم.

والشيخ عبدالباسط صعيدى المولد ولد فى ارمنت، وقد شهدت أرمنت أول ليلة من لياليه القرآنية وقد قرأ ١٠ ساعات كاملة فى مأتم أحد أقاربة نظير ١٠ قروش، وفى عام ١٩٤٢ ركب القطار لأول مرة الى احدى القرى المجاورة لقريته واخذ يقرأ حتى ظهر الخيط الابيض فى الفجر لقاء ٢٥ قرشا بعد ذلك ذاع صيته وطارت شهرته الى كل قرى صعيد مصر واستقبلته اكبر البيوتات والقصور، والعمد والباشوات والاعيان فى سهرات قرآنية امتدت حتى أواخر الليل ومازل يقوم على احياء ليله مولد سيدى عبدالرحيم القنائى وليلة ابو الحجاج.

وقد سجل القرآن مجودا ومرتلا لاذاعات القاهرة والسعودية والكويت اكثر من مرة وحظى بالعديد من الاوسمة والنياشين.

وقد رشحه الدكتور زكريا البرى وزير الاوقاف عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

المغالاة فى الأجور مرفوضة

❖ بعض القراء يغالون فى أجورهم حتى بلغ أجر بعضهم ثلاثة آلاف جنيه.. ترى ماهو رأى شيخ عموم المقارئ المصرية؟

قال الشيخ عبدالباسط عبدالصمد:

أرجو أن تأخذ إجابتى على أنها محض صدق.. فالحقيقة الثابتة أن الناس يحبون التباهى والتفاخر انهم عندما يدعون عبدالباسط وغيره لايطلبون سماع القرآن الكريم. وإنما يتباهوا ويتفاخروا أمام ذويهم وجيرانهم أن عبدالباسط مثلا يشرف عزاءهم.. إذن هم لايطلبون قرآنا وإنما سمعة ورياء .. وهناك أصوات جميلة فى القرى والنجوع تفوق بكثير جدا أصواتا نسمعها الآن فى الإذاعة.. وأنا بهذه المناسبة اعتب على الإذاعة أنها لاتبحث عن هؤلاء فى القرى والكفور فلعلها تعثر على «رفعت» أو شعشاعى أو مصطفى اسماعيل من جديد!!

❖ وماهو رأى فضيلتكم فى نزعات بعض شباب وجنوحهم نحو المغالاة والتشدد؟

قال الشيخ عبدالباسط عبدالصمد:

لعلها المرة الأولى التى أبدى فيها رأيى بصراحة ان التطرف.. والواقع الإسلامى فى مصر يحتاج إلى وقفة مع النفس لضبطها فالنفس أمارة بالسوء.. ومانراه الآن من مغالاة وتشدد فى بعض الشعائر.. وتفسير بعض الأحكام خاصة بما يتعلق بالحكم والجهاد إنما يرجع سببه إلى الوازع الدينى الذى ساد مصر منذ قيام الثورة عام ١٩٥٢.

ومن هنا خمدت ثورة العلم والعلماء وخبانورها وبات الشباب لايجد العالم المستنير فيستفسر عن دينه وأصبح الحال هكذا حتى عادت الصحوة.

فخرج الشباب مذعورا يحتمى بربه من قسوة الحياة.. وفجأة وجدوا أنفسهم بلا فقيه ولا عالم يبصرهم بأمور دينهم فاستغل بعض المحبين للزعامة الموقف ونصبوا من أنفسهم امراء وعلماء وفقهاء.. وفسروا القرآن والسنة على هواهم وكادوا يأخذون بيد الأمة إلى الهاوية.. عموما المسئولية مشتركة بين الدولة وبين الشباب.. واعتقد لو ان الدولة او وزارة التعليم تنبهت إلى ضرورة تدريس مادة الدين الإسلامى والمسيحى من الحضانة حتى الجامعة لكان الحال أحسن وانفع واجدى..!

شاهد على العصر

❖ لو طلبنا شهادتك على العصر فماذا تقول؟

قال الشيخ عبدالباسط عبدالصمد:

أقول إننا شعب يتكلم أكثر مما يعمل وهذا سر تخلفنا مع أننا أمة مسلمة تملك أسباب التقدم والازدهار.. فقد كفل الإسلام لنا منهجا عظيما يدعو إلى العمل وإتقانه والتفانى فى حب الوطن وحب الناس ويحذر من الخيانة وتضييع الأوقات سدى ولكننا بكل أسف نتغنى بإسلامنا ولا نعمل به إلا قليلا!!

❖ وماذا يقول شيخنا فى بعض القراء الذين يتعاطون المواد المخدرة قبل

القراءة؟

- عادة سيئة ورذيلة لايرضى الله عنها وتعجل بهلاك صاحبها؟

❖ هل تجيد لغات أجنبية؟

- نعم الانجليزية وقليلا من الفرنسية.

❖ هل قرأت القرآن بهذه اللغات؟

- بالطبع.. لا ولكنى كنت أرد على استفساراتهم بلغتهم فقط.

❖ «المثل يقول ابن الوز عوام».. فهل من أولادك من يحفظ القرآن؟ وهل أصواتهم جميلة؟

- المثل صحيح فأولادى ماشاء الله كلهم يحفظون القرآن وأصواتهم شجية محمد عبدالباسط يحفظ ٢٧ جزءا من القرآن ويقرأ السورة بمسجد الإمام الشافعى يوم الجمعة فى حالة سفرى أو مرضى والرائد شرطة طارق عبدالباسط قارىء ممتاز ويفتتح حفلات الشرطة وغيرها.. وحسام عبدالباسط رجل أعمال وهشام مهندس وياسر طالب وسحر طالبة وكلهم والحمد لله من حفظة القرآن الكريم وأصواتهم عذبة.. جميلة..

- أصدر جمال عبدالناصر قرارا جمهوريا بتعيين الحصرى شيخ عموم المقارئ المصرية بمصر.

- اختارته السعودية لافتتاح الحفل الرسمى لانارة مكة المكرمة بالكهرباء ١٩٥٤ بدعوة رسمية بدأ تلاوة القرآن فى محطة الإذاعة عام ١٩٤٤ وهو أول قارئ يشغل منصب شيخ المقارئ من بين مشاهير القراء.

تولى وظائف قارئ المسجد الأحمدى بطنطا عام ١٩٥٠. ثم قارئ المسجد الحسين عام ١٩٥٥، وفى عام ١٩٥٧ عين مفتشا للمقارئ وفى عام ١٩٥٨ عين وكيلا لمشيخة المقارئ.

وفى ١٩٥٩ عين مراجعا مصححا للمصاحف بمشيخة الأزهر. وخبيرا بلجنة القرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية وفى أوائل الأسبوع من أكتوبر صدر القرار الجمهورى بتعيينه شيخا لعموم المقارئ فى مصر.

أصدر عدة مؤلفات فى علوم القرآن والقراءات من بينها «مع القرآن الكريم» الذى قدم له وأقره فضيلة الشيخ شلتوت. وسجل بصوته المصحف المرتل الذى يذاع فى جميع الحكومات الإسلامية والمحطات العالمية ويذاع يوميا من اذاعة وتليفزيون مصر.

رحلته مع كتاب الله استمرت حوالى ٦٠ عاما، لم يرض لنفسه أن يكون قارئا فقط صاحب صوت بهذا الوجدان، فالاصوات كثيرة، ولكنه أراد أن يترك أثرا فى نفس سامعيه، فالقراءة عنده علم له اصول وقواعد. ولذلك عكف على الاستزادة من كل علم يتصل بالقرآن. فاسعد وقت فى حياته وهو يعيش مع القرآن الكريم بروحه وعمله واتجاهه، لذا شغله علم القراءات حتى اصبح علما من اعلامه له مؤلفات تدرس فيه، واضعا نصب عينيه قول الرسول ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». هو شيخ القراء وإمام المقرئين.. الشيخ الحصرى.

ولد فى ١٧ سبتمبر عام ١٩١٧ بقرية شبرا النملة مركز طنطا محافظة

الغربية، وفى سن الثامنة أتم حفظ القرآن بالمسجد الأحمدى، ثم انتقل للدراسة بالأزهر الشريف. واتجه لدراسة علوم القرآن واتقن القراءات العشر الكبرى وطرقها ورواياتها بجميع اسانيدها.

وفى القاهرة عام ١٩٤٤ وتقدم للاذاعة فكان الأول وبدأ صوته يصل إلى سامعيه عبر الأثير وعاد إلى طنطا وظل إلى جوار الاذاعة قارئا للمسجد الاحمدى طيلة عشر سنوات.

أثناء انعقاد المؤتمر الأول لاتحاد قراء العالم الإسلامى للقرآن الكريم الذى يطلق عليه «اقرأ» بكراتشى اقر ممثلو ١٦ دولة اسلامية انتخاب الحصرى رئيسا للاتحاد وعلى أن يكون مقره فى القاهرة وباكستان للسكرتارية العامة.

الف الحصرى ما يزيد على ١١ كتابا تتعلق بعلوم القراءة منها «مع القرآن الكريم» السبيل الميسر فى قراءة الامام ابن جعفر، ورواية ورش، ورواية الدورى عن ابى عمرو، واحكام قراءة القرآن الكريم، القراءات العشر، معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء، ورحلاتى فى الإسلام.

وفى مقدمة كتابه «مع القرآن الكريم» قال عنه الشيخ شلتوت كثير من الناس أتاهم الله حظ الدنيا والآخرة.. ومنحهم السعادة فيهما عن هذا الطريق المستقيم، فحفظوه وجودوه واستمروا دائبين يخدمونه ويسعدون به، لأنه دائما يهدى الى الحق وإلى صراط مستقيم.

ويضيف شيخ شلتوت: وكان محمد رفعت من هؤلاء والشيخ محمود الحصرى عرفته قارئا مجيدا يخشى الله فى قراءته ويتبع السلف الصالح فى قراءتهم فما يحيد عنها قيد انملة ولا يبتعد عنها ما استطاع سبيلا، تملأ قراءته القلوب سكينة وأمنا وطمأنينة، وتفتح أمام سامعيه سبيل الهدى والرشاد.

الحصرى قضى ٤ ايام فى ولاية بماليزيا محاصرا من الأمطار التى قطعت جميع الطرق حتى انقذته طائرة هليوكوبتر ارسلها له رئيس الوزراء بعد أن اكتشف ان الامطار ارغمت شيخ المقارىء على البقاء فى الولاية الغارقة.

كان الحصرى قد ذهب إلى الولاية ضمن برنامج أعدته الحكومة الماليزية مع سفارة مصر فى كوالالمبور.

ولقد كان من المفروض أن يقضى الحصرى ليلتين فى الولاية يذهب بعدهما إلى ولاية أخرى لكن حوصر ٤ أيام إلى أن وصل نائب رئيس الوزراء فى طائرة هليوكوبتر حيث عرف ان الشيخ محاصر فى الاستراحة الحكومية.

بعدها بقليل وصلت الطائرة الى الاستراحة اقلته إلى المطار حيث كان فى انتظاره طائرة حربية خاصة نقلته من الولاية الى العاصمة كوالالمبور.

. مجلس الدولة يتدخل لحسم، خلاف بين وزارة الاوقاق وورثة الحصرى حول مبيعات اسطوانات وأشرطة تلاوة القرآن المسجلة بصوته والتى تتحصل بعد وفاته، عرض الخلاف على مجلس الدولة لابداء الرأى فيه كان المرحوم الحصرى قد اوصى وزير الاوقاف فى وصيته الموقعة بالشهر العقارى، بصرف ثلث تركته على الخيرات التى صدرت بالوصية. وقام وزير الاوقاف بتفويض مدير الإدارة العامة للأوقاف والمحاسبة باتخاذ الاجراءات اللازمة لاستلام الأموال الثابتة والمنقولة الموصى بها وادارتها وتحصيل ريعها وصرفها فى مصارفها الشرعية التى حددها الحصرى فى وصيته. وطالبت وزارة الاوقاف شركة الصوتيات والمرئيات، بأن تورد لها من المبالغ التى تتحصل مستغلا بيع اسطوانات واشرطة تلاوة القرآن الكريم المسجلة بصوت الشيخ الحصرى ما يوازى نسبة الوصية الاختيارية إلى التركة. ورفض المستشار محمود عبدالحليم الولى الشرعى على أولاده القصر مستحقى الوصية الواجبة وقررت وزارة الاوقاف فى الاستفسار من مجلس الدولة عن أحقيتها فى المبلغ التى تتحصل مستقبلا نتيجة بيع اسطوانات واشرطة المرحوم الشيخ الحصرى، واستفسرت الوزارة عن هذه المبالغ من عناصر التركة. وتستحق ثلثها حسب الوصية الاختيارية وقرر مجلس الدولة ان حصيلة بيع اشرطة واسطوانات الشيخ الحصرى ليست من التركة ولمدة ٥٠ سنة

لا يحق لوزارة الاوقاف الحصول على نسبة من حصيلة مبيعاتها.

خنجر مطعم بالاحجار الكريمة وطقم شاى كامل وصينية من الفضة الخالصة اهداها له ملك الملايو للشيخ الحصرى شيخ المقارىء المصرية بعد أن رأس لجنة التحكيم فى مسابقة جنوب افريقيا لتلاوة القرآن وشهادة علمية قدمتها حكومة الملك الى الشيخ الحصرى ورئيس الوزراء خصص طائرة لتنقلات الحصرى أثناء المسابقة التى جرت فى الملايو.

الحصرى

الشيخ الحصرى رحالة فى عالم الإسلام. أوفد إلى أغلب دول العالم، حيث التقى بالملايين من عشاق صوته وطاف بالدول العربية والافريقية والاسيوية والاوروبية والامريكية، حيث التقى بالملايين.

والشيخ الحصرى تشرف بمصاحبة الرئيس السادات إلى أمريكا ويعتز بلقائه بالرئيس كارتر ويقول: قرأ فى فرنسا القرآن الكريم لمدة أيام كاملة فى مسجد بباريس عام ٦٥ وهناك اشهر البعض اسلامهم على يديه بينما فى امريكا اشهر ١٨ اسلامهم رجالا ونساء كان من بينهم طبيبان وثلاثة مهندسين.

ولا ينسى حين حاصرته الأمطار فى ماليزيا وأرسل رئيس الوزراء طائرة هليوكوبتر وهناك الألوف المؤلفة من جماهيره الذين انصتوا إلى تلاوته التى لا تنسى فى هونج كونج وامريكا، والصين، وروسيا وسويسرا وباريس وفى السعودية يهرع السعوديون إليه يهللون ويكبرون فى الكعبة لما يلتمسون البركة بالحجر الأسود ثم يذهبون الى بئر زمز فيشربون منها.

وفى الفلبين تزدحم الشوارع والميادين العامة بمجموعات الشيوخ التى تطوف لتغنى الاغانى لهلال رمضان وحيث يصلون فى المساجد طوال الشهر المعظم.

وفى اندونسيا تفتح المساجد طوال شهر رمضان وتحتفل الدولة بليلة القدر فى السابع والعشرين من رمضان حيث يشارك الشعب رئيس الجمهورية حتى وقت السحور احتفالا بليلة نزول القرآن ويتناول الرئيس والجمهور السحور معا.

وتتحول المساجد فى الهند إلى مشاعل مضيئة تقام فيها الصلوات ودروس العلم ليلا ونهارا وهناك يفطرون على التمر ويتناولون افطارهم الى ما بعد صلاة المغرب.

امـا فى سنغـافـورة فـتعلق الزينات والفـوانيس الملونة ويفطرون عـادة على حسـاء السـمك والارز وشـراب جـوز الهند والاناناس ويتوجـهون بعـد المـغرب إلى المساجد والزوايا لسماع القرآن الكريم ومدارسته.

ويحـرص رئيس سنغـافوره عـلى مشـاركـة مـواطنيه فـى الحفل الكبـيـر الذى يقيمونه فى ليلة القدر.

الشيخ: محمود خليل الحصري

وهو أول مـن سـجل المـصـحف المـرتل على عـشـر «خـتـمـات» بالـروايات المـختلفة.. برواية حفص، ثم برواية ورش.. وهـى قراءة أهل المـغرب.. ثم برواية الدورى.. وهـى قراءة أهل السودان وكثير من بلاد افريقيا. ثم برواية قالون.. وهـى قـراءة أهل الجزائر وتونس وليبيـا وغيـرهـا من بعض البـلاد الافريقـية.. كمـا سـجل القرآن الكريم بطريقة الترتيل لكثير من البلاد العربية والأوروبية والأمريكية.

وهو يرى ان قـارىء القـرآن يجب ان تتـوافـر لديه مـوهبـة الصـوت وقـدرة التعبير والـدراية الفنية لقواعد التجويد وحسن النطق بالحـروف، ومعرفة الوقوف، بجانب الالمام بـالتفسير.. وهذا كله يخلق الموسيقى الطبيعية فى التلاوة فتسمى بالتـجـويد.. وهو يرى ان الشـيخ مـصطفى اسـمـاعـيل أحـسن القـراء فى الاداء الموسيقى، وعيبه انه يتهاون احيان فى حسن الاداء.

واذا كـان الشـيخ الحـصـرى بالـذات سندبادا يحـمل كـلام الله، فـهـو مـن بين رحلاته التى تفوق الخـمـسين رحلة الـى بلاد العـالم يعتـز بتلك الرحلة مـع الامـام الاكبـر الراحل الشيخ عبدالحليم محـمود.. الى الولايات المتحدة الامـريكية لزيارة المـراكز الاسـلامية وافتتـاح بعضـهـا. فقد قـرأ فى الكونجـرس الامـريكى ثم رافق الامـام الراحل للقـاء الرئيس كـارتر، الذى طلب ان يسمع القـرآن منه، لكن الوقت كان ضيقـا، ووعده الشيخ الحصرى بأن يرسل اليه بكل تسجيلاته، وأرسلها بالفعل له، وهـى تسـجيل كامـل للمصـحف المـرتل على ٣١ شـريطا. وقـد بعث اليه الرئيس كارتر برسالته يشكره فيها على هذه الهدية القيمة.

وقـد كـانت هـذه أول مـرة فـى التـاريخ يتلى القـرآن فى الكونجـرس الأمـريكى،

ويقوم الامام الاكبر الراحل بتفسير الآيات الكريمة التى تليت.

ورسالة الرئيس كارتر.. يعلقها الشيخ الحصرى فى بيته، مع سجادة صغيرة ثمينة ايضا، هدية من المرحوم الرئيس عبدالسلام عارف، رئيس العراق السابق.

ان الشيخ الحصرى مملوء بالذكريات.. ومن يقلبه يجد الكثير.. والكثير.. فصورة له مع الرئيس الراحل عبدالناصر ونهرو. وأخرى له مع المسلمين الهنود، وثالثة مع ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند السابق ورابعة مع الملك الحسن ملك المغرب، وخاصة مع ايوب خان رئيس الباكستان السابق. ورابعة فى هونج كونج، وخامسه مع عبدالرحمن رئيس وزراء ماليزيا، وسادسة مع احمد النتو زعيم مسلمى الفلبين وسابعة مع الملك سعود.. و .. وكثير من الذكريات التى لاتنتهى وتحتاج الى مجلدات مع مسلمى العالم وزعمائه وروابطه ومنظماته.

ومع كل ذلك، فإن شيئا يقلقه بالنسبة لقراء القرآن الكريم التابعين لوزارة الأوقاف، والذى هو شيخهم شيخ المقارىء المصرية.. انه يقول:

- لقد انشئت المقارىء المصرية لحفظة القرآن الكريم.. فكما أن لعلماء الازهر شيخا، فالقراء ايضا لهم شيخ. ولهم كذلك الكثير فى وصايا المسلمين مما يستوجب رعايتهم. ولهم من أوقاف الخيرين المسلمين الكثير. وتبلغ هذه الأوقاف ٧٦ الف حجة تقريبا.. وهذه الاوقاف المفروض ان تصرف على أهل القرآن وعلى مكاتب تحفيظ القرآن.

ويقول الشيخ الحصرى ايضا. الذى الف ١١ كتابا فى علوم القرآن:

- اننا بحاجة الى الاهتمام بمكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى القرى بالذات حيث كان فى كل قرية تقريبا كتابان - بضم الكاف - أو ثلاثة، يدخلها الابناء من سن الرابعة حتى العاشرة، ويتخرجوا فيها حافظين للقرآن ومجيدين للقراءة والكتابة، وبعد ذلك يتوجهون الى التعليم العام.

اننى اطالب بتعميم هذه المكاتب، والاكثار منها، ثم انشاء درجة وظيفية لحفظ القرآن الكريم، ليعطوا مرتبات هذه المهنة. كما أرى ان تحتضنهم الدولة وتكفل لهم حياة كريمة حتى يقبلوا على مكاتب تحفيظ القرآن وتعيين المحفظين

فى المدارس الابتدائية ومساواتهم بالمدرسين فى العلوم الاخرى.

ويتحدث الشيخ محمود خليل الحصرى عن بعض القراء، فيقول عن الشيخ غلوش الذى يعرفه منذ عام ١٩٥٧ حينما كان وكيلا لمشيخة المقارىء: لقد جاءنى بملابس الجندية لتعيينه بوظيفة قارىء سورة بالأوقاف. فقد ارسله الىّ الشيخ البهى الخولى مراقب عام الشئون الدينية بالاوقاف حينئذ، وكان وقتها مثل اى قارىء صوته حلو، ولكن يشوبه تمطيط الحروف وترقيص الممدود، وصوت الشيخ غلوش يقارب صوت الشيخ مصطفى..

ويرى الشيخ الحصرى أن القارىء الشاب - وهى نصيحة خبير - عليه فى بداية حياته ان يستغرق وقتا تأهيليا. عليه ان يمرن صوته بالإنشاد، وعليه ان يقرأ قصائد وتواشيح.. لان كل ذلك يمرن صوته، ويعطيه امكانيات تعينه على حسن اداء القراءة.. وفى رأيه ان الاصوات ألوان.. فالصوت الذى يعجب فلانا غير الصوت الذى يعجب فلانا آخر. وكل انسان يعشق الصوت الذى يروقه... وكما يقول المثل «لولا اختلاف الانظار لبارت السلع».

وللشيخ الحصرى ابنان تخرجا من كلية اصول الدين، أحدهما اجيز فى الاذاعة.. واصبح متفرغا للابتهالات.. والثانى قارىء مثل والده يقرأ فى السيدة زينب، وفى مسجد عريان.

والحقيقة الواضحة. ان الشيخ محمود خليل الحصرى، قد قرأ بالتغنى أولا.. خاصة حينما كان قارئا للسورة فى مسجد سيدى احمد البدوى. فقد كانت الملايين تأتى لسماعه.. لكنه منذ ان جاء القاهرة.. قرأ على الاصول فى مسجد الحسين.. ثم خصص اغلب جهده للمصحف المرتل والمجود. وهو على اية حال قارىء جيد وملتزم بقواعد القراءة الصحيحة.. وفى قراءته دائما خشوع واطمئنان.. وهو يرعى الله فى قراءاته ومن هنا يأتى «صيته» فى عالم الاسلام.. ومن هنا ايضا اختير رئيسا لقراء عالم الاسلام.

لأول مرة يقرأ القرآن فى لوس أنجلوس

الحصرى شيخ المقارىء المصرية الذى كان ضمن الوفد المرافق للامام الاكبر د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى زيارة للولايات المتحدة الأمريكية صحبه فى زيارة للكونجرس الامريكى فطلب منه اعضاؤه ان يستمعوا لبعض آيات القرآن فقرأ لهم ماتيسر من سورة مريم وقام سفيرنا فى واشنطون د. أشرف غربال بترجمة الايات فورا انتهاء الحصرى من تلاوتها.

وعقب زيارة شيخ الازهر لمبنى الامم المتحدة فى نيويورك ومقابلة سكرتيرها العام كورت فالدهايم التف المسلمون العاملون فى واشنطن حول الشيخ الحصرى وجلسوا وطلبوا منه ان يقرأ لهم بعضا من ايات الذكر الحكيم فى احدى القاعات الكبرى داخل المبنى الكبير.

نفس الشىء حدث فى الاحتفال الذى اقامه اعضاء مجلس الاديان فى لوس انجلوس: يهودية + مسيحية + اسلام تكريما لشيخ الأزهر حيث افتتح الاحتفال بالقرآن الكريم ايضا.

محمود على البنا

رابع النجوم الكبار.. هو الشيخ محمود على البنا.. وهو رجل قارىء صامت دائما.. ولكنه ايضا متميز الاداء وله لون خاص يختص به وحده.

والشيخ البنا من مواليد شبرا باص مركز شبين الكوم عام ١٩٢٦، اى انه فى الرابعة والخمسين من عمره، وقد دخل الاذاعة فى عام ١٩٤٨ واجيز قارئا. وهذا يعنى انه من القراء المخضرمين وله مدرسة تختص به وحده. وقد أعجب فى بداياته بالشيخ محمد رفعت والشيخ على محمود، والشيخ الشعشاعى.. وزامل ابناء جيله الشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ ابوالعينين شعيشع، والشيخ محمود خليل الحصرى، ثم بعدها الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، الذى أجيز للاذاعة بعده بحوالى اكثر من سنتين.

ومع تماسك هذا الشيخ وقوة بنائه، فهو يقول أننى بكيت مرتين فى حياتى: مرة فى الروضة الشريفة فى المسجد النبوى الشريف. فقد جلس ليقرأ القرآن أمام القبر النبوى الشريف، وانتابته رهبة شديدة، وسأل نفسه: كيف اقرأ القرآن أمام من نزل عليه القرآن؟.. واشتدت به الرهبة، واذا به لايستطيع ان ينطق بحرف، وانهمرت الدموع من عينيه. ولكنه يذكر، أنه فى الأيام التالية مَن الله عليه. وقرأ كما لم يقرأ فى حياته من قبل، وكان ذلك فى عام ١٩٦٩.

أما المرة الثانية التى بكى فيها فكانت فى ماليزيا، حيث يقام احتفال مهيب فى العشر الأواخر من رمضان، وتقام فيها مسابقة دولية تشترك فيها معظم دول جنوب شرق آسيا. وقد اشترك الشيخ محمود على البنا فى هيئة التحكيم فى هذا الاحتفال الذى يدعى له اكثر من عشرة آلاف مسلم، وتمر فيه صفوف قراء القرآن الكريم، مرتلة كلام الله.. وهنا وجد نفسه يبكى، لجلال الموقف وعظمة ما رأى.

وفى رأى الشيخ محمود على البنا، ان أمة الاسلام فقدت الكثير من القراء الموهوبين.. وآخرهم الشيخ مصطفى اسماعيل، ولذلك فهو يطالب وزارة الاوقاف بالبحث عن اصحاب المواهب ورعايتهم، حتى يكون عندنا جيل من القراء الموهوبين المجيدين.. لمواجهة طلبات عالم الاسلام، وخاصة فى اشهر رمضان المباركة.

ويقترح الشيخ البنا ان تنشأ مدارس للقراءات وتسمى على اسماء النجوم من القراء، وان يدعم هؤلاء النجوم هذه المدارس بالمال والجهد، ويراعوا الاجيال الجديدة ويوجهونهم.. خاصة وأن أغلب المقرئين الجدد، باستثناء قلة، ومنهم الشيخ شعبان الصياد.

ولايمكن.. ان ننهى كلامنا عن نجوم القراء ونغفل قارئا مخضرما مثل الشيخ محمود عبدالحكم.. مقرىء السيدة نفيسة، وصاحب الصوت الذهبى والطريقة التى ابتكرها هو لنفسه ولايقلده فيها أحد.

والشيخ محمود عبدالحكم اصلا من القراء الصعايدة، من محافظة قنا.. لكن بدأت شهرته الكبيرة من طنطا. على رأى المثل الذى يقول: «ما قرآن الا أحمدى» فقد ذهب وعمره ١٤ سنة الى المسجد الاحمدى ليقرأ ويتعلم. ومن طنطا ذهب الى القاهرة ليتعلم من كبار مقرئيها: رفعت، والشعشاعى، والسيسى، وعلى محمود، ومحمد عامر، والقشلان، وقد بدأ يقلد الشيخ رفعت لكنه سرعان ما ابتدع لنفسه طريقا فريدا.

ومع ان الشيخ محمود عبدالحكم جلس فى القاهرة الا انه لم ينس الصعيد، فكان يذهب ليقرأ فيه.. حتى عندما أجيز فى الاذاعة عام ١٩٤٠ من بين ٣٠ قارئا نجح هو وشيخ آخر اسمه الشيخ يوسف حسانين والأخير لم يكمل الطريق.

الشيخ الطبلاوى

الشيخ الطبلاوى من مواليد ميت عقبة ١٩٣٤ عندما كانت فى بداية القرن مجرد جزيرة أوقرية لكن جذوره تعود إلى محافظة المنوفية. شيخ عموم المقارئ المصرية لشئون القراء. وقارئ الأزهر تركت ميت عقبه ولكن اثارها الرياضية على الطبلاوى موجودة فهو زملكاوى منذ كان اسم النادى المختلط وكان الكابتن يحيى امام والفريق حيدر باشا واللاعب حنفى بسطان.

مهنتى لا تسمح بوجود وقت للفرفشة والنكتة، وأنا بالكثير من البيت للجامع وعمرى مادخلت سينما أو مسرحا. وكل ما اتذكره انى دخلت من ٣٠ عاما مرتين حديقة الحيوان مع ابناء زوجتى الأولى.

اننى امتلك شاليها فى بلطيم لا أذهب إليه خوفا من أن يتهمونى بمعاكسة البنات.

كل ذى نعمة محسود وانا محسود.. وعلى سبيل المثال عندما تحسب مقرئى الاذاعة ستجدهم كثيرين وكم منهم مشهورا.

لا يوجد فى جيلى سوى أبو العينين شعيشع والشيخ راغب غلوش، أما باقى المقرئين من الجيل التالى مثل محمود صديق المنشاوى فهو لم يظهر إلا بعد وفاة شقيقه الشيخ محمد أما القراء الجدد فهم أشبه بالزرع الشيطانى الذى ليس له جذور وهم لا اساس لهم فى المهنة ليست لى تسعيرة معينة ولا أجامل الاثرياء لانهم قادون على دفع أجرى وغير صحيح ان احصل على الاجر بالدولار إلا إذا كنت موجودا فى امريكا ولكن الوضع يختلف بالنسبة للطبقة المتوسطة حيث اجاملهم فى اجرى ربما إلى درجة النصف أو أكثر حسب الظروف.

نعم هناك مشاهير يدعوننى لاحياء ليالى فى قصورهم مثل الملياردير اليونانى لاتسبسى والملك حسن الذى استدعانى عندما ماتت والدته الأميرة. كما زرت ايران ٣ مرات لاحياء ذكرى الثورة وأيضا فى وفاة الامام خومينى.

أما عن دخول السيدات الاذاعة فأنا ضد عودتهن فلكل وقته عندما كانت الشيخه كريمة العادلية موجودة فى الاذاعة لم تكن هناك احقاد. ولكن هناك من

يقول أن عودتهن بدعة وبصفتى نائبا لنقيب المقرئين لست من انصار تعديل قانون النقابة بحيث يسمح بقيد القارئات الاستحسان مطلوب حيث يشجع القارىء على الاجادة. أوافق المستمع الذى يهمس بذكر الله لكنى ابغض عبارات الشوشرة.

عندما يرتفع همس المقرئين اثناء تلاوة القرآن اتوقف عن القراءة ولو رأيت أحد المقرئين يدخن لا استطيع الصمت على هذه التجاوزات والتصرفات.

أنا الآن صاحب مدرسة ولى آلاف الخلفاء من القراء، ولا أريد الحديث عن نفسى ولكنى أترك الحديث عنى، هناك بعض الزملاء يجب أن يعتزلوا. أنا القارىء الوحيد الذى يرفض العمل فى ليلتين متتاليتين للحفاظ على المستوى المطلوب.

أنا أمتلك سيارة مرسيدس موديل ٧٩، واتبع مبدأ دارى على شمعتك تقيد وذات يوم ألح على نجلى ان اشترى سيارة زلمكة ولكنى رفضت.

لا اذهب بسيارتى إلى السرادقات لأنه نوع من المظهرية. ولا استخدم الموبايل.

لماذا لم تعترف بتنظيم النسل؟ السبب فى هذا هو جهل الزوجه، لان الجهل مثل الحمى فالزوجة الجاهلة تعتقد أن كثرة انجاب الاطفال سوف يقيد الزوج.

فما رأيك فى عمل المرأة ليس حراما إذا كان بعيدا عن الميوعة والشهرة. وكنت اسمع أم كلثوم واسمهان وسعاد محمد وياسمين الخيام، فهؤلاء يقمن بالغناء الأصيل بعيداً عن الايقاعات الصاخبة.

أنا لا ألزم بناتى بارتداء الحجاب، وأنا اخليت مسئوليتى بعد زواجهن وازواجهم هم الذين يلزمونهم بارتداء الحجاب إذا ارادوا ذلك.

أنا مع عمل المرأة إذا كان ذلك لا يشغلها عن رعاية زوجها واولادها.

أرفض ان اذكر اجرى وآخر مبلغ دفعت للضرائب تجاوز ٣٠ ألف جنيه عن الفترة من ١٩٧٩ حتى أوائل التسعينيات، وقمت بدفعه على أقساط.

د. زقزوق عزلنى من عضوية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعزل كذلك شيخ المقارىء أبو العينين شعيشع والشيخ رزق خليل حبه من عضوية المجلس عام ١٩٨١.

طبيعة عملى ترتبط بحالتى المزاجية وليس لى يوم حين أخصصه كاجازة اسبوعية ولو طلب منى احياء ليلة وحالتى المزاجية لا تسمح لاقبل أحياء الليلة مهما كان المقابل المادى.

نعم هناك خيار وفاقوس فى عملية سفر المقرئين للخارج.

الطبلاوى

هل عبدالوهاب كان له دخل فى دخولك الاذاعة؟

عبد الوهاب ليس له دخل، بل لى معه حكاية أخرى، لكن الذى اختار دخولى هم زملاء المهنة الكبار.

فقد جرت العادة ان يحيى الليالى قارئ كبير، ومعه قارئ صغير فكنت فى بداياتى أقرأ مع المشاهير. والناس تعطى لفتة للقارىء الصغير. لابد أن يشجعوه وهذا التشجيع أوغر صدورهم منى فى كل مرة اتقدم لامتحان الاذاعة يتصل بعضهم باللجنة، ويقولون مش عاوزين فلان يدخل من باب الاذاعة ، لان لو طلع على الهواء يحصل حاجة. وتستجيب اللجنة.

أما حكاية دراستى للموسيقى فقد نصحنى بها الاستاذان محمود كامل ومدحت عاصم حكايتى مع عبدالوهاب اتصل بى مرة محمود السعدنى وقال لى الاستاذ عبدالوهاب يريد أن يقابلك.

اننى تعودت على الشائعات. قالوا ان أحدا لا يستطيع مقابلتى بسهولة، بل يمر على سكرتير حتى يصل الى مدير مكتبى، الذى يطالبه بأن يكتب شيكا لحسابى من البنك قبل أن تتم المقابلة، وهناك من يقولون اننى أقبض أجرى بالدولار الأمريكى أنا أتعامل مع الغنى والفقير. الغنى يعرف وضعى.

بدأ فى سن التاسعة حيث اتم حفظ القرآن وكُتاب القرية بميت عقبه التى تم ميلاده بها.

بعد ذلك تعلم، أحكام التجويد فى معهد القراءات التابع للأزهر. وبدأ تلاوة القرآن فى سن الحادية عشرة، ابتداء بعشرة قروش فضية وكانت تمثل حين ذاك مبلغاً كبيرا كان يقرأ فى الليالى الصغيرة شبه الاخمسة والاربعينيات و عندما بلغ ١٧ سنة بدأ يذهب فى الليالى الكبيرة فى المآتم.

ويقول عن تعليمه القرآن وعلوم القرآن بدأت فى تعليم تجويد القرآن ثم القراءات السبع وهى اللهجات فمثلا لهجة العراقيين غير لهجة الايرانيين، غير الكويتيين حيث قال النبى صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن بسبعة أحرف أى بسبع لهجات.

أنا لا اخذ اجرا على تلاوة القرآن، لكنى أخذ اجرا على هذا الحبس الذى أحتبسه فمثلا لو طلبنى أحد فى الاسكندرية، فهذه الساعات التى اسافر فيها، واحتبسها لصالح هذا الشخص. وأقول أن تقاضى أجرى على القراءة ليست حراما فهناك حديث عن الرسول صلى هلله عليه وسلم: «ان خيرما أخذتم عليه اجرا هو كتاب الله» حينما ذهب الصحابه بقطيع من الغنم أخذوه على قراءتهم على مريض القوم.

صوت المرأة ليس عورة إذا كانت تغنى أغانى دينية أو وطنية خالية من الميوعة فهو ليس بحرام لأنه لا يوجد اثارة، وليس حراما أن تقرأ المرأة القرآن. والصوت الجميل للمرأة فى قراءة القرآن ليس بحرام، إذا كانت القارئة ملتزمة بالآداب.

فالله خير حافظا وهم أرحم الراحمين. تعود الشعب المصرى على الاستحسان عند الاستماع للقرآن و الناس لا تدخن السجاير وأنا أقرأ القرآن، وإلا توقفت عن القراءة واحيانا أزعق فى الميكرفون.

من أول ما بدأت التلاوة كان لى طابع مميز، وهذا توفيق من الله. فأنا لا

أقلد أحدا ولى طريقة مميزة تعتبر مدرسة.

سافرت ثلاثة أرباع دول العالم بجانب الدول العربية جميعها، وأحسن البلاد استحسانا شعب اندونيسيا، يليهم ماليزيا، ثم جنوب أفريقيا.

«لو أنك موهبة عادية.. لما هاجمك أحد!!»

طوال سبع سنوات كاملة فشل الشيخ «الطبلاوى» أن يدخل الاذاعة، لأنه كان يرسب فى امتحان التقدم.. وفجأة تغير كل شىء!

هو أحد الأصوات الجميلة النادرة فى زمننا!!

إنه «صوت» «رخيم» لا «سوط» يلهب آذاننا!!

الكلام عن الشيخ «الطبلاوى» الذى حاول البعض محاربة «صوته» ففشلوا وصار صوت الرجل يطلب بالاسم فى مصر والعالم العربى.

فى ميت عقبة - عندما كانت قرية نائية التحق الشيخ الطبلاوى بـ«كُتاب» القرية ليتعلم حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ غنيم بناء على رغبة ملحة من والده وأفلح الشيخ الطبلاوى فى حفظ القرآن وهو لم يتعد التاسعة بعد فانتقل بعد ذلك إلى دراسة الأحكام والتجويد وكان معلمه أيضاً هو الشيخ غنيم وهو رجل فيه من الفطنة والذكاء ما يكفى لاكتشاف المواهب ورعاية أصحابها، ويوم الخميس من كل أسبوع كان الشيخ غنيم يستمع الى طلبته ليقف على مدى استيعابهم وقدرتهم، وكان يلقى على مسامع طلابه أوصافاً غريبة عليهم وكانت كلها منصبة على الأصوات فقسمها الى صوت أقرع وصوت أبيض وصوت رخيم وكان صوت الشيخ الطبلاوى من الصنف الأخير.

ولولا أن الحاجة الملحة والفقر دفعا الشيخ للقراءة فى النجوع والمراكز والقرى المحيطة ببلدته لفقدنا أحد أعظم الأصوات وأقدرها وأقواها وأطربها فى دنيا التلاوة.

فعندما بلغ الشيخ عامه الثالث عشر كان عليه أن يعول نفسه بنفسه فاندفع الى القراءة بسبب الحاجة وكانت البداية فى بيوت القرية الصغيرة ومنازل الأصدقاء، وسرعان ما تناقل الناس أنباء هذا الفتى صاحب النفس الطويل

والصوت الرخيم والأداء المتميز الذى حرص على أن يكون طابعاً خاصاً بالطبلاوى وليس تقليداً لمن سبقوه وحصل الشيخ على أول أجر له عام ١٩٤٧ خمسة قروش فى أول خاتمة يحضرها كمحترف، وأحيا الشيخ شهر رمضان بـ٣ جنيهات، وفى ذات العام التحق بمعهد القراءات بالأزهر الشريف وأمضى خمسة أعوام ما بين الشهادة العالية وشهادة التخصص وهناك درس كل أنواع القراءات العشر الكبرى والعشر الصغرى والقراءات الشاذة وهى نوع من القراءة يدرسها الطلاب ويمنع عليهم القراءة بها ومن أشهر قراء الشواذ الشيخ عنتر وقد تم منعه بحكم قضائى وسحبت شرائطه من الأسواق لأن أساس هذه القراءة هو تغيير نص كتاب الله مع الاحتفاظ بنفس المعنى ومثال على ذلك قوله تعالى فى سورة التوبة: (فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر) تتقلب فى الشاذة إلى : (فتيهوا فى الطين أربعة أهلة).

وحتى فى القراءات السبع هناك خروج ولكنه خروج مصرح به وإن كنا لا نلجأ إليه أبداً. فمثلاً فى احدى هذه القراءات وهى عن خلف عن خلاد بن حمزة بدلاً من : (اهدنا الصراط المستقيم) يقول: (اهدنا الظراط المستقيم) وفيها تقلب الصاد ظاء.

وبعد انتهاء الدراسة فى الأزهر اكتمل للشيخ الطبلاوى علمه وصقلت موهبته بالدراسة وتهيأت له أسباب الرفعة وأخذ صيته ينتشر فى أرجاء مصر وأصبح وجوده فى ليلة أو خاتمة أو مولد بمثابة عيد وفرح لأهل القرى والمراكز التى يقام فيها هذا الاحتفال، وارتفع شأن الشيخ ومعه ارتفع أجره وأصبح العثور على الشيخ فى عداد المستحيل ووصلت ارتباطاته فى القراءة لشهور قادمة محجوزة وكان يختلق الاعذار بشق الأنفس ليبحث لنفسه عن راحة ليوم واحد كل شهرين أو ثلاثة أشهر، وهذا المجد كله والشهرة الكبيرة والمكانة الرفيعة والشيخ الطبلاوى لم يقرأ بعد فى الاذاعة أو التليفزيون، لا بسبب زهده فى أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، وإنما بسبب رسوبه فى امتحانات التقدم وهى امتحانات يؤديها المقرئون أمام لجنتين إحداهما خاصة بالاستماع إلى أحكام القراءة والتجويد والحفظ والأخرى أمام لجنة الموسيقى والأولى اجتاز اختباراتها بنجاح ولكنه وقف امام الثانية.

ومنذ عام ١٩٦٠ وحتى عام ١٩٦٧ ولم يستطع أن يدخل الإذاعة بسبب هذه اللجنة والتى كان اعتراضها الوحيد على الطبلاوى أنه لم يدرس الموسيقى وأن تنقله بين النغمات خاطىء وأن عليه بدراسة الموسيقى ثم التقدم للامتحان من جديد، ولكن الشيخ الطبلاوى ولم يكن على استعداد ليدرس الموسيقى من أجل قراءة القرآن ولو أن الموسيقى بهذه الدرجة من الأهمية فلماذا لم يتعلمها شيخنا الجليل الراحل عبد الباسط عبدالصمد وأنا - الطبلاوى - حققت الانتشار والشهرة العريضة بدون الاذاعة وبدون الموسيقى التى يريدوننى أن أدرسها وإنى لأسأل: بماذا ستعود دراسة الموسيقى!؟

انبهار!

❖ قلت للشيخ الطبلاوى إن الموسيقار الكبير محمد عبدالوهاب استمع إليك وقد حدث له انبهار عظيم بصوتك، وكان رأيه أنك تفتقد للموسيقى ومعرفة قواعدها ولو أنك تلافيت هذا العيب لأصبحت من أعظم مقرئى الزمان على الإطلاق، فى حين أنك لم تهتم بالرد على الموسيقار الكبير؟!

ويبدو أن الشيخ الطبلاوى قد خشى الرهبة من لقاء الموسيقار لأنه تجنب هذا اللقاء وقتاً طويلاً حتى سنحت الفرصة والتى كانت وليدة للصدفة، فقد التقى الاثنان فى حفل افتتاح مسجد الدكتور مصطفى محمود وقبل أن يهم الموسيقار بالكلام بادره الشيخ بالحديث وكان بعيداً عن مسألة الغناء وتطور إلى الحرب التى يشنها كبار المشايخ ضد الطبلاوى وتصريحاتهم ضده فى الجرائد والمجلات فحكى عبد الوهاب للشيخ حكايته مع أحمد بك شوقى وكان دور عبدالوهاب يشبه إلى حد كبير دور شيخنا أثناء هذا اللقاء، فقد اشتكى الموسيقار للشاعر العظيم الحرب الشعواء التى يقودها فطاحل الطرب فى ذلك الوقت ضد عبد الوهاب وشتائمهم له على صفحات المجلات والجرائد، فما كان من الشاعر العظيم إلا أن قال احتفظ بها ولا تفرط فيها أبداً، وبعد عامين قال له هات ما عندك من جرائد السب وأمره بأن يضعها فوق بعضها بعضاً ثم طلب إليه أن يقف فوقها ووقف فوقها عبدالوهاب وقال أحمد شوقى: أنت اليوم شامخ بهذه الشتائم ولو أنك موهبة عادية لما كتب عنك أحد ولما هاجمك أحد!!

وبعد أن روى عبد الوهاب للشيخ هذه القصة والشيخ يحتفظ بكل كلمة مكتوبة عنه سواء شراً أو خيراً.

المهم أن الشيخ الطبلاوى نجح فى هذا اللقاء فى أن يبتعد بالحديث عن مسألة الموسيقى هذه وهى التى شكلت له عقبة كبيرة لدخول الإذاعة والتليفزيون قرر معها أن يدير ظهره تماماً لهذه الأجهزة، طالما أن دراسة الموسيقى شىء أساسى لدخولها وامتنع الشيخ عن التقدم للامتحان حتى عام ١٩٧٠ وفيه تغيرت اللجان وجاءوا بأشخاص جدد وطلبوا الشيخ للتلاوة مرة أخرى، وحدث أن

اعترضت لجنة الموسيقى من جديد وهنا وقف الشيخ الغزالى - رحمه الله - وقال إن هذا الصوت كسب كبير للإذاعة المصرية ولكن الشيخ رزق حبه أصر على إعادة امتحان من جديد وحدث ونجحت بالفعل وأصبحت معتمداً فى الإذاعة.

وعندما علم الكبار بذلك زادت حدة غيظهم فقرروا أن ينصبوا لى كميناً فى أولى حفلاتى المذاعة عبر الأثير وكانت فى المحلة الكبرى، ويومها طلبوا من مقدم الحفل الدينى أن يختصر كلامه بقدر المستطاع والمعروف أن المذيع دائماً ما يطيل الوصف فى مثل هذه المناسبات وأن المقرىء يتلو القرآن لمدة لا تزيد على ٢٠ دقيقة ولكنهم نجحوا فى أن يجعلوا من مدة القراءة ساعة وخمس دقائق وهى مساحة ضخمة تثير أعصاب أى مقرىء متمكن وتجبره على عدم الاجادة ومن ثم يقضى علىّ بالفشل.

ولكن ما حدث أن جمهور المستعمين الذى ملأ المكان والساحات المجاورة كانت آهاته تستغرق ثلاث دقائق على الأقل كلما قلت جواباً وكانت هذه فترة كافية لالتقاط الأنفاس والاستعداد من جديد وبالفعل مرت الساعة وخمس دقائق والناس تطالب بالمزيد وفشل مخطط المشايخ الكبار فى محاصرتى ومنعى من القراءة فى الإذاعة وأنا حقيقة مستغرب لأمر هؤلاء وهم حفظة كتاب الله كيف لا يلتزمون بنصه وروحه ويحاربون الضعفاء والصغار ولكن أقول لهم: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾.

ورغم قسوة وضراوة المعركة فقد نجح الطبلاوى وانتصر وأصبح المقرىء الأول بلا منازع وهو الآن يشغل منصب نائب نقيب المقرئين ويقوم بأعمال النقيب الشيخ أبو العينين وهو بصدد وضع ضوابط وقوانين لتنظيم العمل وحفظ حقوق المقرئين وأيضاً محاسبتهم عند الخطأ.

الحبس!

وأنا لا أحدد شخصاً بعينه سألت الشيخ الطبلاوى كنائب للنقيب ألا من ضوابط لمنع المغالاة فى أسعار المقرئين؟!

ولا أدرى لماذا كان فى جواب الشيخ الطبلاوى دفاع عن ذاته!! فقال أنا لا أغالى فى أجرى على الإطلاق ولكن المسألة عرض وطلب، فإذا كان الطبلاوى غالياً عليك فتستطيع أن «تفكه» بعشرين أو ثلاثين مقرئا ما حدش ضرب حد على ايده ويحضرنى رد للشيخ الشعراوى قاله لأحد رواد جلساته، حيث سأله سؤالاً شبيهاً بسؤالك فرد عليه الشيخ وقال فى الجمهورية ما يزيد على الـ٢٠ محافظة وفى البلد مقرئون لا عد لهم فلماذا تختارون الطبلاوى بالاسم إذن فهناك سبب ولهذا السبب فأنت تحبس الطبلاوى كما يحبسه غيرك بعض الوقت فى التلاوة وهنا أنت تدفع ثمن حبسه.

قلت له من سيحبسك فى رمضان القادم.

قال هناك عدة عروض للحبس فى دولة عربية وأنا فى سبيلى لاختيار واحد منها!

قلت.. كل حبس وأنت طيب!

تعلم من الشيخ فريد نعمان الذى درس التفسير وتعلم منه القراءات السبع.

أنا أفضل صوت الرجل فى التلاوة لأنه اكثر خشوعا وقدراته أعلى اشتركت فى مسابقة دولية فى اندونيسيا كانت التصفية النهائية بينى وبين قارئة اندونيسية يطلقون عليها ام كثلوم اندونيسيا ولكنى حصلت على المركز الأول، وحصلت كذلك على الجائزة الأولى فى مسابقة اخرى من الجنسيين فى سلطنة روناى عام ١٩٨٦ ومسابقة دولية فى الهند عام ١٩٨٥، وعينت رئيس لجنة التحكيم لمسابقة دولية للقارئين فى المانيا عام ١٩٩٠.

ذاع صيته فى الاسكندرية حتى جاءت بعثة الإذاعة لتسجيل صلاة الجمعة من الجامع وفوجئت بانهم يصطحبون معهم قارئا. فتساءلت لماذا لا أقرأ؟ فقالوا لى لأنك غير معتمد.. وهنا اجمع اصدقائى على ضرورة ذهابى الى القاهرة والتقدم للاذاعة وبالفعل كان اعتمادى عام ١٩٧٩.

وكانت اللجنة مكونة من اربع مشايخ هم: الشيخ مرسى عامر. والشيخ رزق حبة، والشيخ عفيفى الساكت، والشيخ السمار واثنين من الموسيقيين هما الملحن الكبير احمد صدقى والمؤرخ الموسيقار محمود كامل ثم كانت مسابقة وزارة الاوقاف للسفر الى الخارج لقراءة القرآن فى شهر رمضان وفزت بالمركز الأول وسافرت الى لندن لمدة شهر.

انطلاقتى جاءت عندما سمعنى الرئيس السادات فى يوم الطبيب بالاسكندرية واعجب بصوتى وضمنى الى السكرتارية الخاصة له وعينت كطبيب فى سكرتارية الرئيس. وكنت اذهب معه فى كل مكان، أقرأ القرآن فى كل الاحتفالات الرسمية وذاعت شهرتى وظللت هكذا لمدة عامين حتى توفى السادات وتركت الرئاسة وعملت مديرا للمركز الطبى للمقاولين العرب وتخصصت فى طب الأطفال، كان تعيينى ضمن ثلاثة أطباء وليس كقارىء ولكننى ادعى للقراءة فى الاحتفالات الرسمية والبى الدعوة شاكراً.

لا أترك مهنتى الأساسية وهى مهنة الطب لأننى احبها وأجيدها.

اننى امارس القراءة بعشق الهاوى وأخذ الأجر على القراءة ليس حراما فقد قال الشيخ الشعراوى ان القارىء يتقاضى اجر احتباسه فى الزمان والمكان وان الذين يطلبون صوتا ولايطلبون القرآن اذن فالاجر للصوت وليس للقراءة.

اعتبره البعض علامة فى عالم القراءة لانه لايرتدى العمة والكاكولا.

أنا لست ازهريا حتى ارتدى هذا الزى انا طبيب لماذا افعل مالم اعتاد عمله ثم ان الزى الاسلامى ليس زيا محددا، المسلم يستر عورته من السرة الى تحت الركبة وانا استرها وأزيد. «من حرم زينة الله التى اخرجها لعبادة»، الرسول خرج على اصحابه بحلة حمراء اذن لا اعتراض فى الاسلام على الشكل واللون وماذا يلبس المسلم فى الاحرام لابد ان يكون عارى الرأس واذا غطاها لايجوز احرامه ثم العمة والكاكولا زى الأتراك منذ أيام الدولة التركية والجلباب زى والملابس هى انعكاس لقوميات وعادات وشعوب، وليس للدين الاسلامى علاقة بها وماذا سيضيف لى كقارىء أن البس العمة والكاكولا هل سيزداد صوتى خشوعا أو جمالا لابد أن يكون الانتقاد فى الجوهر وليس فى المظهر، ان الله ينظر الى قلوبكم وانا اتحدى اى انسان أن يأتى لى من القرآن والسنة بشكل للزى الاسلامى.

اذا كانت الكلمات جميلة وغير مبتزلة اننى احب الاستماع الى ام كلثوم وعبدالوهاب وعبدالحليم، الغناء يغذى الروح ويضفى السعادة على الانسان.

القرآن اعظم موسيقى ربانية فى الكون كله.

درست المقامات من الشيخ مصطفى اسماعيل الذى التصقت به فى السنوات العشر الاخيرة من حياته يعنى مثلا الآيات التى بها وعيد وبها عقاب وعذاب انسب مقام لها هو الصبا لأنه مقام حزين اما الآيات التى بها التبشير بالجنة والنعيم والثواب فيناسبها مقام الرصد. ودراسة المقامات تجعل القارىء ينتقل من طبقة الى طبقة بمنتهى السهولة يعنى تعلمت من مصطفى اسماعيل ان

اكون فاهما للمعنى وقال لى أن الفهم هو الذى سيقودك ستعرف أين تقف وأين تهبط وعليك ان تقرأ فى التفسير وتعيشه مع الآيات لكى يعيش المستمع معك، وقال لى استقم وحافظ على صوتك وسوف يكون لك شأن فى تلاوة القرآن.

انا منحاز جدا للشيخ مصطفى اسماعيل صوته جميل وقوى وانا فى المرحلة الابتدائية وعرفت انه سيأتى الى بلدة تبعد عن مركزنا ٥ كيلو مترات واصطحبت بعض زملائى وذهبنا لنسمعه وكانت مفاجأة ان الشيخ «مفتح» أول مرة ادرك ان هناك قراء مبصرين، وانها مهنة ليست مقصورة على كفيف البصر. ايضا وجدته طويلا وعريضا ايضا وممتلئا عكس الشيخ هلالى والشيخ الشوا. واكتشفت ان التلاوة عالما آخر غير ما اسمع من مشايخ بلدتنا والشيخ مصطفى كان بالنسبة لى مائة قارىء فى بعض. عدت الى بلدتى متيما بالشيخ مصطفى اقلد صوته وطريقته وأداءه لدرجة اننى عندما كنت اذهب الى السوق حيث كان يعمل والدى تاجرا للأرز والقطن وله متجر كبير يقع على فرع رشيد كان الناس يطلبون منى ان اقرأ لهم مثل الشيخ مصطفى. وكنت اتلقى منهم الشيكولاته والحلوى مكافأة على حسن ادائى المهم اننى اصبحت أطوف وراء الشيخ مصطفى اذا ما جاء فى المنطقة المحيطة بنا وكان يضطر ان يرسل لى سيارة لتصحبنى حتى لا أعود فى الليل ماشيا على الأقدام كان يشجعنى على تلاوة القرآن خاصة اننى انجح بانتظام فى المدرسة ولم تكن هذه التلاوة قد اصابت احدا من إخوتى الاربعة وهم عبارة عن فتاتين واخ طبيب واخ مهندس فى الاسكندرية كانت محطتى الثانية كنت اقرأ فى الاحتفالات فسمعنى د. احمد السيد درويش عميد الكلية وكان رئيسا لجمعية الشبان المسلمين فبدأ يصطحبنى معه فى الاحتفالات الدينية لأتلو القرآن وبدأت أشتهر فى الاسكندرية وسمعنى د. أبوالفتوح رئيس قسم الجراحة فى الكلية الذى جعلنى قارئا لجامع الشيخ سمك.

د. احمد نعينع ابن مطوبس بكفر الشيخ الذى جمع بين الطب والقراءة، هو طبيب اطفال متزوج من مدرسة تخصص تحاليل طبية وعنده زهرتان جميلتان وهو الوحيد الذى سجل المصحف «المجود» و«المرتل» ثلاث مرات ويقول عن

نفسـه ان يهوى التـلاوة وتكلم عن القـراءات العشـر والأصوات المـوجـودة فى الساحة.

وهو قارىء السورة فى مسجد الامام الحسين خلفا للشيخ عبدالباسط منذ عام ١٩٨٨.

معيار القارىء فى المقام الأول القراءة السليمة ثم الصوت الجميل وحسن السمعة والسلوك المستقيم السوى.

الاجر على قراءة القرآن ليس حراما لأن الشيخ الشعراوى قال فى برنامج التليفزيونى ان الذى يطلب قارئا مشهورا ليس بطالب قرآن لأنه لو طلبه لوجده فى المصحف بل هو طالب «صيت» أو شهرة وعلى عهد الرسول قرأ أحد اصحابه القرآن على مريض فشفى بإذن الله لنص الآية «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة» فجعل على المريض قطيعين من الغنم فذهبت به الصحابة الى الرسول واستفتوه فى قبوله فقال لهم خذوها واضربوا بقلم السهم فان خير ما اتخذتم عليه أجرا كتاب الله ولكن التغالى فى كل شىء مرفوض والصحيح هو الرأفة بالمسلمين فى الاساس أنا أقرأ هواية وليس احترافا وعملى الأساسى فى الطب وما كان فى تخطيطى الاذاعة والتليفزيون والظهور فى المناسبات والسفر الى خارج مصر.

وكانت تغمرنى لدرجة النشوة حين اقرأ فى الملتقى الاسلامى بحى الحسين أو فى مسجد سيدى العباس المرسى حيث كنت طالبا فى كلية الطب بجامعة الاسكندرية وقدمنى د. احمد السيد درويش عميد كلية الطب والرئيس الشرفى لجمعية الشبان المسلمين ود. ابوالفتوح استاذ الجراحة والمستشار هلال قاسم رئيس مجلس الدولة انذاك ود. مصطفى القرم ود. مصطفى السجيمى وكلهم اصطحبونى الى مسجد سيدى على السماك حيث مكثت عشر سنوات أقرأ وطلبنى د. حمدى السيد نقيب الأطباء فى احتفالات نقابة الطب فسمعنى الرئيس السادات فى عام ١٩٧٩ فكان منه أن ضمنى للسكرتارية الخاصة به وطبيبا خاصا له واذهب معه فى العشر الأواخر من رمضان أقرأ له من سورة «طه» و«الأعراف»

و«الشعراء» و«القصص» و«النمل» وكل ما فيه من حوار بين موسى وفرعون.

وكان الرسول اذا نودى للصلاة قام على هيئته التى هو عليها أو كما تقول السيدة عائشة وكأننا لانعرفه ولايعرفنا وورد عنه أنه صلى عارى الرأس وخرج على صحابته بجبة وقفطان والاصل فى الزى للرجل والمرأة الايشف ولايحدد.

الأصوات الاقرب إلىّ صوت الشيخ رفعت ومصطفى اسماعيل وأبو العينين شعيشع وفى التواشيح على محمود وطه الفشنى ونصر الدين طوبار والنقشبندى والفيومى.

الأصوات الشابة تحتاج الى دراية وخبرة ومجهود وصبر وهى تتجعل الشهرة ودخول الإذاعة.

الشيخ محمد جبريل

الاسم : محمد محمد السيد حسنين جبريل

الشهرة : الشيخ محمد جبريل

الميلاد : طحوريا - مركز شبين القناطر - محافظة القليوبية

- المؤهل : ليسانس شريعة وقانون - جامعة الازهر الشريف

- حفظ القرآن الكريم وعمره ٩ سنوات وفاز بالمركز الأول على مستوى الجمهورية والعالم الاسلامى اكثر من مرة وحصل على العديد من الاوسمة من البلاد الاسلامية التى قام بزيارتها.

مهتم بالرياضة وكان عضوا فى الجامعة لكرة القدم وهو زملكاوى النزعة وله اصدقاء من الفنانيين يلعبون معه.

نشاطه فى مجال الدعوة:

❖ يؤم المصلين فى صلاة التراويح بمسجد عمرو بن العاص منذ عام ١٩٨٨ م.

❖ عمل قارئا ومعدا للبرامج الدينية بالتليفزيون الاردنى

❖ عمل مدرسا للقرآن الكريم فى الجامعة الاردنية.

❖ سافر الى جميع بلدان العالم لامامة المصلين فى المساجد الكبرى والقى العديد من المحاضرات فى المراكز الاسلامية وذلك فى علوم القرآن الكريم.

❖ يشرف على اقامة المركز الاسلامى العالمى لعلوم القرآن بالقاهرة «دار ابى بن كعب » والذى تم افتتاحه بصفة تجريبية.

❖ قام بتسجيل القرآن الكريم بصوته فى الاذاعة والتليفزيون بالاردن والاذاعات العربية والعالمية.

❖ قام بتسجيل اكثر من مصحف مرتل بصوته فى الاسواق المحلية والعالمية على شرائط كاسيت واسطوانات واول مصحف مرتل سجله بمسجد عمرو بن العاص.

❖ قام بتسجيل القرآن الكريم الكترونيا بلندن وصدر بالاسواق

❖ سجل العديد من البرامج الدينية للتليفزيون المصرى واهمها البرنامج الرمضانى «اية ودعاء» بالقناة الأولى.

❖ له حلقة مسجلة فى عدة برامج دينية بالقنوات الفضائية المختلفة.

يقول الشيخ محمد جبريل

حياتى عادية .. فأرتدى البدلة والجلباب والعباءة واقود السيارة وأمارس الرياضة خاصة كرة القدم واختراق الضاحية والسباحة وهذه الالعاب الرياضية تساعدنى فى ضبط عمليات التنفس عند قراءتى للقرآن الكريم الذى اختمه كل شهر خمس مرات وهذه الرياضات امارسها بالنادى الاهلى او نادى الصيد او نادى النيل او نادى الزمالك ومن اصدقائى عدد كبير من الرياضيين وغيرهم كثيرون واسأل الله ان يجعلنى سبب خير ونافع للاسلام والمسلمين وان يجعل اعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم.. انه سميع مجيب.

وعن امنيته الخاصة يقول الشيخ محمد جبريل:

لقد أكرمنى الله - عز وجل- بالصلاة والإمامة فى بيته العتيق المسجد الجامع عمرو بن العاص الذى بناه ووضع قبلته اكثر من ثمانين صحابيا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واكرمنى الله بامامة المسلمين فى المراكز الاسلامية فى اكثر بلدان العالم وبقى ان أؤم المصلين فى بيته المباركين الحرمين الشريفين : المكى والمدنى وكذا المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وادعو له فى كل صلاة وكل دعاء ان يحرره ويعود للمسلمين فأسأل الله - سبحانه وتعالى - ان يرده لنا ويرزقنا الصلاة فيه.

امام التراويح فى جامع عمرو بن العاص

نحن على موعد مع امام التراويح الذى اهتدى على يديه العديد بمجرد سماع ترتيله آيات الذكر الحكيم من القرآن الكريم.. نحن مع فضيلة الشيخ محمد محمد حسنين جبريل الذى سعدت بمولده بلدة «طحوريا » احدى قرى شبين القناطر بمحافظة القليوبية ونشأ وسط اسرة قرآنية حافظة لكتاب الله .. «ووالده واخوه الاكبر سيد والاصغر نصر » وقد تم حفظه للقرآن الكريم فى كتاب القرية على يد شيخه الشيخ امين سليمان والشيخ عمر عثمان - رحمهما الله- وكان عمره حينذاك تسع سنوات.

واشترك فى جميع المسابقات المحلية لحفظ القرآن الكريم وكذا المسابقات الدولية التى اقيمت فى ماليزيا عام ١٩٨١م والسعودية عام ١٩٨٠م وكان ترتيبه الأول على المتسابقين من انحاء العالم الاسلامى وبعد تخرجه من جامعة الازهر الشريف وحصوله على ليسانس شريعة وقانون عمل بالمحاماة .

وانعم الله عليه بحلاوة الصوت وجودة القراءة وحسن الترتيل خاصة عند امامته للمصلين فى صلاة القيام طوال شهر رمضان فهو يصلى بجزء او جزءين فى الركعات الثمان خاصة فى جامع عمرو بن العاص، حيث يمتلئ الجامع طوال شهر رمضان وتفبض جموع المصلين من رواد الجامع فى ليلة ختم القرآن حتى تمتلئ الطرقات والشوارع ..بل والحارات المحيطة بالجامع من ساحة ميدان المسجد جنوبا حتى طريق صلاح سالم ونفق الملك الصالح شمالا وغربا حتى سور مترو الانفاق.

وهذا المشهد الايمانى لا يتكرر الا يوم الجمعة الاخيرة من شهر رمضان «الجمعة اليتيمة» من كل عام وصلاة العيدين «الفطر والاضحى» حيث تكون الصلاة فى ساحة ميدان الجامع وقد تعلق قلب الشيخ محمد جبريل بجامع عمرو بن العاص مثله فى ذلك مثل كل اصحاب الفضيلة العلماء الدعاة الذين خطبوا من فوقه منبره فعندما رزق بمولوده الأول اسماه عمرو وعندما سجل ترتيله للمصحف الشريف على شرائط كاسيت سجلته شركة صوت القاهرة فى الجامع اثناء امامته للمصلين فى صلاة القيام «التراويح».

القراءة والمراجعة

وعن قراءته للقرآن الكريم وحفظه يقول الشيخ محمد جبريل:

اقرأ يوميا بفضل الله - تعالى - خمسة اجزاء من القرآن الكريم للمراجعة عملا بنصيحة شيخى عامر عثمان «رحمة الله »اى اراجعه خمس مرات فى الشهر وعند اعادة القرآن اشعر بأننى اقرأه لأول مرة وافضل عند قراءة القرآن الكريم الترتيل .

لانه الاصل كما ان الترتيل فيه تجويد لأن كلا منهما مرتبط بالاخر.. لكن الترتيل هو الاصل لقوله تعالى «ورتل القرآن ترتيلا » سورة المزمل الاية ٤ والتجويد يعنى التحسين واعطاء كل حرف حقه .. اما التنغيم فله قواعد واصول .

اول العالم فى حفظ القرآن مرتين

المسابقة الأولى عام ١٩٨١ فى ماليزيا:

فى كل عام تعقد المسابقة الدولية فى حفظ القرآن الكريم وفى كل عام تستضيفها احدى الدول الاسلامية وتعتبر المملكة العربية السعودية هى اكثر الدول استضافة لهذه المسابقة وصاحبة الفكرة.

وتقام المسابقة بين الفائزين على مستوى دولهم حيث تقام مسابقة على مستوى الجمهورية بالنسبة لمصر مثلا بين المتسابقين داخل كل محافظة ويتم اختيار خمسة من كل محافظة وتجرى بينهم تصفيات حتى يستقر الامر على الخمسة الأوائل على مستوى الجمهورية ليمثلوا مصر على المستوى العالمى.

واشترك الشيخ محمد جبريل بين ابناء مديرية اوقاف القاهرة وفاز بالمركز الأول وكذلك كان الأول على مستوى الجمهورية فأرسلته مصر الى ماليزيا ممثلا لها فى المسابقة الدولية وحصل على المركز الأول على مستوى العالم ١٩٨١.

يسترجع الشيخ محمد جبريل شريط الذكريات فيقول: عام ١٩٨١ سافرت الى ماليزيا ممثلا لمصر فى المسابقة العالمية لحفظ القرآن الكريم كاملا و ماليزيا بلد مسلم اهله يحبون القرآن والمسابقة اقيمت فى استاد ماليزيا الدولى

الذى تقام عليه المباريات وهو كاستاد القاهرة هنا والمنصة التى يجلس عليها المتسابقون فى منتصف الملعب واعدت على اعلى مستوى تكنولوجى مزودة بأحدث اجهزة الارسال الحديثة فالقارئ عندهم يعلو على منصة عالية تقديرا للقرآن والمستمعون فى المدرجات يستمعون الى القرآن وهذا نظام جميل جدا - فالحمد لله رب العالمين- وكانت مكبرات الصوت منتشرة بالميادين والشوارع الرئيسية وكانت ماليزيا كلها تتابع المسابقة عبر موجات الاذاعة والتليفزيون ثم عن طريق مكبرات الصوت كما قلت وطلب منى المحكمون ان استمر فى التلاوة بناء على طلب الموجودين فهم يحبون القرآن واهله والحمد لله ان من علينا بحمل القرآن وحفظه .

المسابقة الثانية عام ١٩٨٦ بالسعودية

كان الشيخ محمد جبريل بالاردن حينما اعلنت وزارة الاوقاف المصرية عن مسابقة بين حفظة القرآن على مستوى الجمهورية لاختيار ممثل مصر فى المسابقة العالمية لحفظ القرآن الكريم كاملا فترك الاردن وعاد ليشارك فى المسابقة ضمن ابناء القاهرة.

يقول الشيخ محمد جبريل : الحمد لله فزت بالمركز الأول ودخلت كأول القاهرة على مستوى الجمهورية وبعدها سافرت الى السعودية ممثلا مصر فى المسابقة العالمية بمكة عام ١٩٨٦ وكنت متفائلا حيث كنت الأول على مصر وعلى العالم اجريت المسابقة فى خمسة افرع ودخلت فى فرع حفظ القرآن كاملا مع التجويد بالاحكام ورأيت متسابقين من كل بلاد العالم وكان هناك اكثر من محكم كل واحد له اختصاصه هناك محكم للحفظ وواحد للتجويد والاحكام واخر للموسيقى والنغم وواحد للصوت ثم محكم للتفسير كانوا حوالى ٨ محكمين فى المسابقة وكل يضع الدرجة فيما يخصه وفى النهاية ترصد الدرجات لاعلان النتيجة النهائية.

وكانت هناك بعض المفارقات فى المسابقة اولها اننى امتحنت اخر المتسابقين فجاء دورى وكانت فائدة لى جدا لأنى تعرفت على قدرات المتسابقين

وعرفت الموفق من غير الموفق.

اول سؤال سألنى اياه الشيخ حسن جودة رئيس اللجنة وهو سعودى فقال لى اقرأ من قوله تعالى:

يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون «٢١٩ - البقرة».

سؤال فيه متشابهات فاستعنت بالله وكنت انوى ان أودى اداء معينا فنسيت هذا الاداء فالهمنى الله اداء افضل من الذى نسيت ومن هنا تأكد لى ان الفتوح من الله وكلما فتح الله على القارئ جاءته طريقة احسن مما كان ينوى.

والسؤال الثانى من قوله تعالى:

وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم «الانعام ١٣-»

ووفقنى الله ولاحظت ان المحكمين تركونى اقرأ أكثر مماطلب منى باسهاب واستفاضة فشجعنى ذلك على التمكين وحسن الاداء لاننى علمت انهم يستمعون الى استحسانا منهم لما الهمنى الله من حسن التلاوة فالحمد لله كثيرا.

ثم السؤال الثالث:

ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون «٢٧- الزمر».

فالقرآن قدم أناسا واخر أناسا وهذا السؤال فيه متشابهات كذلك فكنت اعرف لماذا سأل الممتحن هذا السؤال بفضل الله تعالى ثم بفضل كتاب القرية.

وكان السؤال الرابع من سورة الحج والخامس من سورة القلم من قوله تعالى :«قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون » ٢٨- القلم».

فالحمد لله فى النهاية رصدوا الدرجات فقال لى رئيس اللجنة اين تدرس؟ قلت بجامعة الازهر فقال:

«حى الله الازهر - حى الله الازهر- حى الله الازهر».

مع ان الكتاب هو صاحب الفضل الاول بعد الله تعالى فى تفوقى ولكن لاينكر دور الازهر لانه هو الذى صقل موهبتى بالعلم النافع فحى الله الازهر ، حى الله الازهر ، حى الله الازهر، وكانت النتيجة حصولى على ٩٩,٧٪بفضل الله تعالى والمتسابق السعودى حصل على ٩٩,٥٪ ولكن كانت هذه هى المرة الأولى التى تفوز فيها مصر بالمركز الأول اى خارج السعودية لانهم كانوا يقولون فمصر هى ولادة دائما فى كل المجالات فالحمد لله رب العالمين.

ولما سأل احد الصحفيين رئيس اللجنة السعودى وقال ان المتسابق المصرى لم يخطئ فلماذا نقص ٣٪ قال : رد عليه ردا مقنعا.

وعن مثله الاعلى وقدوته من القراء يقول فضيلته:

هم اصحاب الفضيلة الشيخ محمد رفعت والشيخ محمد صديق المنشاوى والشيخ مصطفى اسماعيل والشيخ محمود خليل الحصرى وكل الاساتذة الافاضل رحم الله من رحل عنا منهم وامد وبارك فى عمر من يعيش الان بين ظهر انينا واعتبر الجميع مثل البستان فيه الفواكه الكثيرة المتنوعة وكل منا يقطف منه الفاكهة التى يحبها ولاغنى عن الكل فالحمد لله رب العالمين.

وعن امامته لصلاة القيام فى شهر رمضان بجامع عمرو بن العاص يقول الشيخ محمد جبريل :

لقد عرفت فى مصر من خارجها حيث ذاع صيتى فى الاردن عندما كنت أؤم المصلين فى صلاة القيام بمسجد الحسين الكبير وفى مسجد الجامعة كما عينت مدرسا للقرآن الكريم بالجامعة الاردنية ، وعملت معدا للبرامج الدينية باذاعة وتليفزيون الاردن كل ذلك وانا مازلت طالبا بجامعة الازهر الشريف وكنت احضر لمصر لاداء الامتحانات فى كلية الشريعة والقانون حتى تخرجت فيها بحمد الله تعالى.

وعندما جئت لمصر بدأت الامامة بمنطقة الهرم «مسجد الصفا» و«مسجد فاطمة رشدى » و« مسجد نور الاسلام » وعندما ضاقت هذه المساجد بالمصلين انتقلت الى جامع عمرو بن العاص وليته كان مكونا من طابقين او ثلاثة طوابق حتى يتسع للمصلين كما ان هناك مساجد اخرى كثيرة مثل مسجد «مصطفى محمود »بالمهندسين و«مسجد الايمان» بالتوفيقية و«مسجد الفتح» بالمعادى و« مسجد المراغى » بحلوان و«مسجد العزيز بالله » بحلمية الزيتون و«مسجد الشريف » بميدان لبنان و«مسجد اسد بن الفرات » بالدقى و«مسجد الرحمن » بمدينة ١٥ مايو .

رحلاته للخارج

ويضيف الشيخ محمد جبريل عن رحلاته خارج مصر قائلا:

سافرت الى الاردن ولبنان وسوريا «المسجد الأموى » وتونس «مسجد الزيتونة» والسعودية «مسجد الرحمة » بجدة والكويت والامارات ونيجيريا وامريكا والمانيا وفرنسا وانجلترا وتركيا «مسجد السلطان احمد » والكاميرون كما سافرت مرات عديدة الى امريكا ومراكزها الاسلامية فى العديد من الولايات هناك ، وغيرها ذلك من البلاد.

ويرى فضيلته ان قراءة القرآن الكريم فى السرادقات والمآتم بأجر بدعة وان هذا الامر من جانبه مرفوض تماما.. لأن أهل المتوفى أولى بهذا الاجر والمتوفى لا يستفيد من هذا الا بالدعاء مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية او علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له رواه مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه.

فى المآتم

أنا لا أنكر أننى بدأت مشوارى مع القرآن فى المآتم حيث كنت صغيراً ولا أعرف أن ذلك غير جائز ولكن بعد ان كبرت وفهمت استخرت الله تعالى فوجدت راحة فى قلبى، فامتنعت بالفعل منذ سنوات لاننى علمت أن القرآن لم ينزل ليقرأ فى المآتم فقط، لكنه نزل للعمل به، ولافادة الاسلام والمسلمين، والصاحبى كان لا يحفظ شيئاً جديدا من القرآن إلا كان يعمل بما حفظ، فالقرآن لم ينزل للاتجار به بل العمل بما جاء فيه. وأعرف ان هذا الكلام لوجه الله ولا أخشى احدا، وهؤلاء اذا كانوا يريدون أجرا فليطلبوه من الله أولا وليعلموا أن القرآن لتعليم الناس حيث اتفق الفقهاء على أن أخذ الاجر يكون عند تعليم المسلمين القرآن الكريم مصداقا لحديث النبى «صلى الله عليه وسلم» ان خيرما أخذتم عليه أجرا كتاب الله، والقصد هنا هو تعليمه حتى يزيد حفظة القرآن الكريم، وبذلك يتحقق التواصل القرآنى بين الاجيال لاننا منتهون لا محالة والاسلام باق إلى ان يرث الله الارض ومن عليها ولو أن أهل القرآن انشغلوا بالقراءة فى المآتم وغيرها فمن يبقى لأمة القرآن ليعلم أهل القرآن صدق رسول الله «صلى الله عليه وسلم» «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ان القرآن لم ينزل على رسول الله ليقرأه على المقابر او غير ذلك، فالقرآن نزل ليكون منهاج حياة، وهو يرفع اقواما ويضع آخرين فمن يرفع القرآن يرفعه القرآن.

ويضيف الشيخ جبريل ان أى مسلم له قلب يقظ وملئ بالايمان لا يقبل ما يحدث فى سرادقات العزاء من تدخين للسجائر وحديث الناس إلى بعضهم البعض دون أدنى احترام للقرآن الذى يتلى أو لقارئ هذا القرآن وكما أننى أتساءل هل هذه المآتم سنة عن النبى «صلى الله عليه وسلم» بالطبع لا فلم يفعل الرسول ولا احد من صحابته فالعزاء عند الجنازة ولاعزاء بعد ثلاث كما يقول النبى فقراءة القرآن فى المآتم عاده وليست عبادة، وهو تقليد موروث فى مصر، ومابنى على باطل فهو باطل الا انه عمل مخالف للسنة.

وحول عدم اعتمادى فى الإذاعة حتى الآن يقول الشيخ جبريل: الطبيعى ان

القرآن يطلب ولا يطلب، ويؤتى اليه ولا يذهب لأحد، فأنا لم أدخل الاختبارات الخاصة بالإذاعة لانه لابد ان تطرق الباب فضلا عن موهبة قارئ القرآن لا ان يطرق هو الباب ويطلب منه ذلك، وهذا ما فعله الشيخ محمد رفعت والشيخ المنشاوى وغيرهم من اساتذتى الأجلاء فالاذاعة هى التى طلبتهم لان القرآن غال ولا يوجد ما هو أغلى من القرآن ولا أريد أن انزل من شأن القرآن من أجل ان أصبح قارئا للاذاعة او التليفزيون ورغم ذلك فإننى شخصيا اتمنى ان ادخل الاذاعة واسجل مصحفا مرتلا مجاناً لوجه الله تعالى ولا مانع من وجود لجنة مراجعة من الأزهر الشريف تصحح لى ان أخطأت.

وحول ما يثيره دعاؤه من بكاء بين المصلين وهل الدعاء يأتى إرتجالا أم انه مرتب من قبل؟

يقول الشيخ جبريل الدعاء كما يقول النبى «صلى الله عليه وسلم» هو «مخ العبادة» او العبادة كما يقول حديث آخر ويقول الله تعالى «أدعونى استجب لكم». وكما يقول سيدنا عمر بن الخطاب إننى لا أحمل هم الاجابة ولكننى أحمل هم الدعاء. وما يهمنى فى هذا الدعاء هو الترتيب، فأولا لابد أن نحمد الله ونثنى عليه بما هو أهله، ثم نصلى على رسول الله «صلى الله عليه ﷺ». ثم نستغفر الله لأن الدعاء المستجاب يكون بين الثناء على الله ويرفع بالصلاة على رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ولكن الدعاء فى الاصل هو الخشوع وان يكون خارجا من القلب حتى يستأهل رحمة الله تعالى، والله يحب العبد اللحوح فى الدعاء فإن الله لايمل حتى نمل نحن.

وحول ما يثار من اتهام الشيخ جبريل بالاساءة الى بعض الشيوخ الكبار قال:

ما يطالع ما قلته بالتأكيد اننى لم أسئ لاسيادنا من حملة كتاب الله فجميع المقرئين السابقين والحاليين استاذه وكل له مدرسته المستقلة والخاصة به فى حسن الاداء، كما أن كل واحد منهم يمثل مدرسة اجتماعية قائمه بذاتها، اجتمعوا جميعا على تقوى من الله ورضوان، وأسأل الله أن يجعل القرآن حجة لنا لا علينا وان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

الرياضة عامل مهم فى حياة الانسان المسلم حتى يكون قويا والاسلام دعا الى ممارسة الرياضة.

صوته تأشيرة المرور الى قلوب الملايين، ويقف كل عام فى ليلة ٢٩ من رمضان اكثر من نصف مليون شخص بمسجد عمرو بن العاص وتهتز القلوب عندما يرتل القرآن بصوته وتدمع العيون عندما يتجه الى الله بالدعاء الذى يحرك المشاعر.

والشيخ جبريل مازال شابا فى الاثنين والاربعين من العمر، وحفظ القرآن كاملا قبل ان يتجاوز التاسعة من العمر، وفاز بالمركز الأول على العالم الاسلامى فى المسابقة العالمية بمكه المكرمه عام ١٩٨٦ وطاف معظم دول العالم ليقرأ القرآن فى معظم المراكز الاسلامية مثل بريطانيا وفرنسا، وألمانيا، والامارات، وتونس، والاردن، ولندن، والولايات المتحدة الامريكية، ويتلقى عشرات الدعوات كل عام. واختارته فى عام ١٩٩٨ احدى المؤسسات الانجليزية ليسجل بصوته القرآن الكريم لانتاج مصحف اليكترونى صغير فى حجم الكف الواحده.

كان لاعبا لكرة القدم فى نادى الزمالك تحت ١٧ سنه وينتمى الى جيل حمادة عبداللطيف وايضا كان كابتن فريق جامعة الازهر.

وله ابن اسمه عمرو وابنته اسمها سارة ٣ سنوات

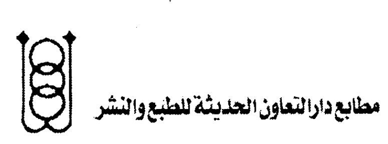
بالنسبة لى شهر رمضان ملئ بالرحمات ويحتاج الى مجهود مضاعف خاصا إننى اسافر فى العشرين يوما الاخيرة، والجو مختلف فى كل دولة ثم اعود الى مصر فى العشر الاواخر.

ارجو الله ان يرزقنى الإمامة والصلاة فى المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الاقصى بعد تحريره انشاء الله.

وبعد.. نكتفى بهذا القدر، ونحن نردد قائلين:«ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا».. ولقد اجتهدنا ان نعطى صورة عن نجوم قراء القرآن الكريم، زادهم الله بركة وجعلهم خداما أوفياء للقرآن الكريم.. فى شهر رمضان، وفى بقية أشهر العام.

رقم الايداع ٢٠٠٣/١٩٩٦٣

الترقيم الدولى ٨ـ ١١١ ـ ٢٢٩ ـ ٩٩٧ .I. S. B. N


مطابع دار التعاون الحديثة للطبع والنشر